

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة د/ مولاي الطاهر – سعيدة –

كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية

قسم: العلوم الانسانية

شعبة التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي الموسومة بـ

أبو بكر الطرطوشي و دوره العلمي في البلاد المصرية

إعداد الطالب:

عبد اللطيف ربح الله

لجنة المناقشة

لعرج جبران

إشراف الأستاذ

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
		رئيساً
لعرج جبران	جامعة سعيدة	مشرفاً و مقررأ
		مناقشأ
		مناقشأ

السنة الجامعية: 1436هـ / 1437هـ الموافق ل 2014م / 2015م

الشكر

أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ جبران لعرج على إشرافه على مذكرة التخرج ولما أبداه من سعة صدر وتوجيه طيلة مدة إنجازها

كما أتقدم بالشكر لأساتذة قسم التاريخ بجامعة سعيدة لما قدموه لنا طيلة المشوار الجامعي.

كما أتقدم بالشكر أيضا لمن ساهم في إنجاز هذه المذكرة من قريب أو بعيد.

إهداء

أهدي ثمرة عملي المتواضع إلى:

والدي الكريمين: مصطفى و عائشة - أطال الله في عمرهما
-، كما أهديه إلى أخوتي و أخواتي - حفظهم الله - .

كما لا يفوتني أن أهدي هذا العمل إلى: عامر

عبد الحميد، محمد و عبد الحليم.

مقدمة:

من الصعب جدا الحديث في نطاق إحياء التراث عن رجل تشبع بالعلوم درس على يد علماء أجلاء ليتخرج على يده تلامذة أفذاذ و ما أجدر أن ينال الطالب شرف البحث في هذا الموضوع، لما يكتنفه من غموض، خاصة و أن أخباره لم ترد مفصلة على يد أهل التراجم و الطبقات، و ما أصعب أن يتكلف الطالب بترجمة لأحد أعمدة المذهب المالكي، الذي تردد اسمه على السنة أهل الاختصاص مع العلم أنه للتعرف عليه قد لا يجد ما يفي بغرضه و يرتاح له ضميره – هذا إن وُجد – لكن حب الإطلاع يدفع بصاحبه إلى عدم الاكتراث لما قد يقع فيه الطالب من معيقات في طريق بحثه مطبقة للحكمة القائلة "إذا كنت تريد فأنت تستطيع"

يتردد اسم الطرطوشي كثيرا على مسامعنا كلما عدنا للحديث عن علماء المذهب المالكي عامة و في العصر الوسيط خاصة لكن الاهتمام به عند المؤرخين الأوائل قليلا جدا، فهو على شكل كلمات مبعثرة هنا و هناك على فهي شكل إطار زمني يؤرخ لتاريخ ميلاده و وفاته، أما عن المؤرخين المحدثين فيكاد الحديث ينعدم عن العلامة "أبو بكر الطرطوشي" إذا استثنينا ما يتعلق بما كتبه الدكتور "جمال الدين الشيال" حول حياة "الطرطوشي" و محنته، و لاسبيل للشك في أن قراءة هذه الكتب يزرع في أنفسنا نوعا من التحفيز على البحث، و ذلك للاحاطة علما بهؤلاء الذين أدوا أمانتهم بكل إخلاص تجاه من عاصرهم و من جاء من بعدهم .

فموضوع بحثنا إذاً هو حول الشيخ "أبو بكر الطرطوشي"، فلقد حاولنا التعرّيج على ترجمة الشخصية بما تشتمل عليه شروط الترجمة من تاريخ لميلاده و نسبه و نشأته و ممن تعلم و ما الذي ساهم في تكوين هذه الشخصية الفذة إلى جانب دوره العلمي الذي كان له دور بالغ الأهمية فقد كان له صدى واسع في أوساط المصريين خاصة، و أصبح عبرة للعلماء حول ما يصابوا به من محن و ما مدى صبر

"الطرطوشي" في ما تحكمه من علاقة بالحكام سواء الظلمة منهم أو المنصفين، كما أضفنا على سبيل الشرح و التوضيح دراسة تطبيقية حاولنا فيها شرح ما ينطوي عليه أبرز كتاب للإمام "الطرطوشي" و نقصد بذلك كتاب "سراج الملوك"

اجتمعت العديد من الدوافع الذاتية والموضوعية التي دفعت بنا نحو اختيار هذا الموضوع، أبرزها السبب المباشر الأول المتمثل في الفضول المعرفي الثاقب بغية إشباع الشراهة المعرفية التي تولدت لنا من خلال محاولتنا الإحاطة الشاملة بالموضوع هذا من جهة، و محاولة إمطة اللثام عن موضوع هذا البحث الذي نعتبره لا يزال غامضا لما تتصف به جوانبه من غموض إضافة إلى كون الموضوع جديد يعطيك الثقة في إمكانية مواصلة الدراسة في هذا الموضوع، وعليه فقد كانت إشكاليتنا على الشكل الآتي:

من هو الإمام الطرطوشي؟ وهل كان له دور في الحياة العلمية بالبلاد المصرية ؟ و من هذه الإشكالية صغنا بعض الأسئلة الفرعية وهي كما يلي:

كيف نشأ الطرطوشي؟ و إلى ما يعود أصله و نسبه؟ و ما الذي أثر في تكوين شخصيته سواء معلميه

أو العوامل المحيطة به التي أسست لهذه الشخصية؟ ، ما أهم الرحلات التي قام بها الطرطوشي؟ و ما هي وجهته في ذلك؟ و كيف أثر الطرطوشي في حياة المصريين بشكل عميق و قلب تفكيرهم وهم تحت الحكم الفاطمي؟ ما علاقة "الطرطوشي" بالحكام الفاطميين في مصر؟

إعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، المناسب لمثل هكذا دراسات و اتبعنا مراحل حياة الطرطوشي و تكوينه العلمي، كما اعتمدنا على المنهج الوصفي، في وصف رحلته و الحالة الوضع المادي الذي كان يعيشه، أما المنهج الاحصائي وظفناه في إحصاء عدد كتبه و تلامذته و شيوخه.

وللإجابة على هذه الاشكالية العامة و الأسئلة الفرعية إعتدنا عل العديد من المصادر و المراجع نذكر منها :

1: المصادر:

إعتدنا بشكل كبير على كتاب سير أعلام النبلاء بشكل لافت للإنتباه لما يحتوي عليه من معلومات قيّمة تخص تقريبا ترجمة لكل شخصية إعترضت طريق بحثنا لكن ما يعاب على هذا الكتاب الاقتضاب والاختصار بحيث يذكر تقريبا تاريخ ميلاد الشخصية وتاريخ وفاتها و بعض الأعمال التي قد نجدها تتكرر في اقي المصادر أي أنها غير مميّز بشكل كبير.

كما إعتدنا على على مصدر مهم و أحد مؤلفات الطرطوشي و هو كتاب سراج الملوك، الذي يحتوي عل جُل فكر الطرطوشي السياسي أو ما يُعرف بالسياسة الشرعية فقد ساعدنا كثيرا خاصة من خلال منهجيته التي تتفق مع خطوات البحث العلمي، بحيث مقسم إلى فصول من شأنها أت تسهل عملية البحث عن المعلومات لكن المحقق نراه قد قصر من خلال ترجمته للشيخ الطرطوشي بحيث لم يفصل فيها كثيرا خاصة و ان الأمر تعلق بالفقيه الطرطوشي، غلى جانب التركيز عل دور الطرطوشي السياسي وإهمال جانبه الفقهي إلى جانب بعض المصادر الأخرى مثل كتاب الدعاء المأثور وشجرة النور الزكية.

2: المراجع:

كما إعتدنا على عدة مراجع أهمها كتاب " أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر " لصاحبه جمال الدين الشيال الذي فصل بشكل جيد في شخصية الطرطوشي، لكن ما يغاب عليه هو الاحالات فهو لا يحيل القارئ بشكل دقيق و إنما يكتفي بذر

الكتاب و المؤلف الذي إعتد عليه، إلى جانب هذا كانت هناك مجلة لا تقل أهمية وهي مجلة الثقافة و التراث التي ركزت على هذه الشخصية و حكاية الإصلاح التي تعلقت به، إلى جانب بعض المراجع الأخرى مثل "دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس" ، " تراجم أندلسية"، " أعلام التصوف"

و الأكيد أنه لا يخلو أي بحث من عراقيل و صعوبات و لعل أبرزها:

- ضيق الوقت و ندرة المادة المعلوماتية، وتشابهها - إن وجدت - حول شخص الطرطوشي
- إلى جانب صعوبة موضوع البحث باعتباره موضوع جديد لم يسلط عليه الضوء بصورة مباشرة، إضافة إلى مشكل آخر مهم جدا و هو محاولة دراسة مفكر عملاق بطريقة غير مباشرة، خاضة وأن الطرطوشي لم يخلف لنا تآليف كثيرة يمكن الاستناد، عليها إلى جانب أعباء التدريس التي تأخذ منا الكثير من الوقت

أما من الناحية المنهجية المتبعة لهذا العمل، فقد وضعنا الخطة التالية :

الفصل الأول قد خصصناه لترجمة شخصية الطرطوشي و حاولنا الوقوف من خلاله على كل صغيرة وكبيرة له صلة بهذه الشخصية ، و قد تطرقنا فيه إلى مولد الطرطوشي و نسبه و إختلاف المؤرخين حول ذلك، كما تعرضنا إلى العوامل المتحكمة في تكوين شخصيته من مشايخ و معلمين و أساتذة سواء في الأندلس أو باقي المدن العربية و الإسلامية، ليأتي الدور بعد ذلك على أبرز تلامذة الطرطوشي سواء في المدرسة النظامية بالعراق أو الاسكندرية باعتبارهما أهم مركزين إستوطن بهما الطرطوشي، لنختم الفصل الأول بتاريخ وفاة الطرطوشي و ما تنطوي عليه من اختلافات حول المؤرخين، وكلنا حرص على أن لا نغفل عن شيء يتعلق بشخصية الإمام.

أما الفصل الثاني فكما سبق و أن ذكرنا فقد إشتمل على كل ما يخص الطرطوشي

في جانبه العلمي و العملي، و قد حاولنا تسليط الضوء على أهم رحلات الطرطوشي و أين إستقر و على يد من تعلم وأهم المدارس التي تعلم بها، و كيف أثرت هذه العوامل في تكوين قلبه العلمي الصحيح الفريد، إلى جانب هذا نحاول كذلك وضع حادثة نقده لأكبر أئمة زمانه و هو أبو حامد الغزالي و كتابه "إحياء علوم الدين" ورأى الإمام الطرطوشي بهذه الشخصية و الكتاب، كل هذا دون أن نغفل على مدى تأثير الطرطوشي في حياة المصريين خاصة ما تعلق بقضية الدفاع عن المذهب المالكي بكل عزيمة دون أن يخشلا في الله لومة لائم، خاصة و أن مصر آنذاك تحت الحكم الفاطمي الشيعي الاسماعيلي، ومن الوجهة الأخرى علاقته بالقاضي "ابن حديد" و قضية فساد جهاز الحكم و تجبر القضاة و اخلالهم بقواعد الشرع الاسلامي، إضافة إلى ما ميز علاقة الطرطوشي بالحكام الذين تجبر بعضهم و خدم الآخر مصلحة الأمة و اقتصرنا على ذكر مثالين: الأول تعلق بـ "الأفضل بن بدر الجمالي" و الثاني بـ "بالمأمون البطائحي"، و قد حاولنا رصد علاقة الطرطوشي بكل واحد منهما.

وفي الأخير و على سبيل الايضاح وضعنا عملا تطبيقيا يتمثل في دراسة أهم كتب الطرطوشي و هو كتاب "سراج الملوك" مسلطين الضوء على أهم الأفكار التي يشار لها في هذا المصدر

لنختم هذه الدراسة في الأخير بخاتمة حملناها مجموعة من الاستنتاجات حول الموضوع و إجابة على الأسئلة التي قد طرحناها في المقدمة

مدخل :

❖ الموقع الجغرافي لمدينة طرطوشة :

تقع مدينة طرطوشة في شمال شرق الأندلس، جنوبي طوكونة، شمال بلنسية و جنوب شرقي سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى، و بالضبط في الضفة الغربية لنهر "إبره" قرب ساحل البحر المتوسط ، و إن كانت المصادر الجغرافية تعدها إحدى قواعد منطقة شرق الأندلس⁽¹⁾.

فطرطوشة هي من بنيان الرومان إذاً هي من المدن القديمة في الأندلس فقد كان يطلق عليها في عصر الرومان "Dertosa Juha Augusta" و امتازت في العصرين الروماني و الإسلامي بأنها ذات حصانة طبيعية بوقوعها على سطح الجبل ، و تذكر بعض المصادر العربية بأن طرطوشة في بداية العصر الإسلامي كانت من أعمال كورة إقليم "البرتات" الذي كان يضم عدة مدن منها برشلونة⁽²⁾

إلا أن الجغرافيون المسلمون يرون أن الموقع المتميز لمدينة طرطوشة (مدينة برية و بحرية)، بمعنى أن لها زراعة واسعة كما أن لها واجهة بحرية ترسو عليها السفن مما يجعلها ذات أهمية تجارية، كما كان لوقوعها على الطريق الأعظم المعروف في المصادر العربية بـ"المحجة العظمى" أعظم الأثر في ظهورها منذ قيام الدولة الأموية في الأندلس كقاعدة لغزاة البحر الأندلسيين الذين كانوا يشتغلون لحسابهم الخاص قبل أن تصطنع الدولة الأموية سياسة بحرية و ذلك بعد الغارة النورماندية على سواحل الأندلس من الجهة الجنوبية ، و منه

(1)- كمال السيد أبو مصطفى، دراسات في تاريخ حضارة المغرب و الأندلس، مركز الإسكندرية، مصر، 1996، 159 صفحة ، ص57.

(2)- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ج 2 ، مكتبة الثقافة الدينية، 1422 هـ/ 2002، 1112 صفحة ، ص 555.

فقد اتفق المؤرخون حول أن طرطوشة مدينة كبيرة من المدن الأندلسية التي تقع على سفح الجبل و هي إلى الشرق من مدينة بلنسية و قرطبة، و بينها و بين البحر 20 ميلا ، فهي مدينة منيعة يحيط بها صور حصين من الصخر بناه بنو أمية و هي قريبة من البحر عظيمة التشييد (1).

❖ الجانب السياسي :

في حقيقة الأمر إن المعلومات التي وصلتنا عن مدينة طرطوشة في العصر الإسلامي سواء تعلق الأمر بتاريخها السياسي أو الحضاري الثقافي فإنها قليلة و شحيحة للغاية ، فلم يرد عن طرطوشة الإسلامية سوى شذرات قليلة مبعثرة في بعض المصادر التاريخية و الجغرافية و بعض كتب التراجم و الطبقات، و لعل السبب في ذلك يرجع لكون طرطوشة في العصر الإسلامي لم تكن من بين المدن الكبرى على غرار بعض المدن الهامة الأخرى مثل اشبيلية و طليطلة و سرقسطة و غرناطة و بلنسية و مرسية و قرطبة (2) و التي أطنبت المصادر التاريخية في الحديث عنها ، سواء تعلق الأمر بتاريخها السياسي او الحضاري و الثقافي ، هذا من جهة أو قد يكون السبب في ذلك كونها لم تكن بارزة في تاريخ بلاد الأندلس إلا في وقت متأخر أي ما يتعلق بعصر دويلات الطوائف ونقصد بذلك القرن الخامس للهجرة أي الحادي عشر ميلادي، رغم هذا إلا أن دورها السياسي في هذه الفترة أيضاً يبدو محدوداً مقارنة بجيرانها من دويلات ملوك الطوائف مثل سرقسطة ، بلنسية ، مرسية، على كل فإن صاحب "الروض المعطار" يصفها بأنها إحدى المدن الاسبانية

(1)- كمال السيد أبو مصطفى ، المرجع السابق ، ص 59 .

(2)- نفسه ص55

الواقعة في سفح الجبل و إن بجبالها خشب الصنوبر التي نتخذ منه صواري السفن و بينها و بين البحر المتوسط ما يقارب من عشرين ميلاً، و بأنها وسط تجاري هام (1).

ومن الأسباب أيضاً التي أدت إلى عدم الاهتمام بها من طرف المؤرخين المسلمين ، رغم موقعها الجغرافي الهام السالف الذكر و المتميز بقرب ساحل البحر المتوسط ، و في مواجهة الممالك الاسبانية المسيحية في الشمال، أن طرطوشة كانت طوال عصر الدولة الأموية مدينة تابعة لنطاق الثغرا الأعلى وقاعدته مدينة سرقسطة التي كثيراً ما سلطت عليها الأضواء في المصادر الأندلسية فحظيت باهتمام المؤرخين المسلمين القدامى منهم و المحدثين هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن دثور العمران الإسلامي وضياعه في العصر الإسلامي كان من أسباب إغفال الباحثين عنها، غير أن دور مدينة طرطوشة في المجال السياسي لم يكن ليحجبه حاجب عن الباحثين خاصة في عصر ملوك الطوائف وذلك خلال القرن (5هـ/11م) فقد أصبحت مقراً لإحدى دويلات الطوائف و نعمت في ظلها لأول مرة بالإستقلال عن الحكومة الأموية المركزية بقرطبة (2)

(1)- علي أدهم ، بعض مؤرخي الإسلام، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 172 صفحة ، ص 106

(2)- كمال السيد أبو مصطفى ، المرجع السابق ص 56 .

ولعل أول إشارة وردت إلينا من طرطوشة ترجع إلى سنة 400هـ / 1010م فقد خرج إليها "واضح الصقلي"⁽¹⁾ عندما ترك مدينة "سالم"⁽²⁾ ، عقب هزيمته أمام جيش البربر ، كما كاد يصل إلى طرطوشة حتى بعث إلى الخليفة المستعين بقرطبة يلتبس الصفح و الأمان ، و في نفس الوقت أرسل إلى أنصار برشلونة يطلب منهم المساعدة ضد المسلمين و البربر، وكيفما كان الأمر فإن الفتى "واضح الصقلي" لم يستمر طويلاً

بطرطوشة ، فلم يلبث أن غادرها في نفس السنة 400 هـ/ 1010م إلى طليطلة ليجتمع بها مع "ابن عبد الجبار المهدي"، و لحقت بها هناك قوات حلفائه نصارى برشلونة ، استعدادا لمنازلة جيش الخليفة المستعين والبربر بالحاضرة قرطبة ونتيجة لاضطراب الأحوال بالحاضرة قرطبة و الحروب المستمرة فضل الصقالبة (العامرية) مغادرة قرطبة و الإتجاه إلى بلاد شرق الأندلس حيث أسسوا عدة دويلات طوائفية صقلية في الميرية و دانية و بلنسية و مرسية و طرطوشة و كان من دوافع نزوحهم إلى شرق الأندلس بالذات ، ما تميزت به المنطقة من هدوء و استقرار نسبي بعيدا عن أجواء الفتنة المحتدمة بقرطبة (3)

وتشير بعض المصادر العربية أن "مجاهدا العامري" هو أول من استقل بطرطوشة في بداية عصر الطوائف

-
- (1)- واضع الصقلي : أحد موالى المنصور بن أبي عامر ابرز الفتيان العامريين في عهد المظفر عبد المالك شارك في العديد من الغزوات ضد المماليك الإسبانية المسيحية ، من أكبر المناوئين للخليفة سليمان هشام المشعين ، ظل كذلك حتى قتل سنة (401 هـ/ 1011 م) على يد وداعة صاحب شرطة الخليفة هشام المزيد بقرطبة ، أنظر:(كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق ص62)
 - (2)- مدينة سالم: بالإسبانية (Medinecelim) كانت في عصر الدولة الأموية قاعدة الثغر الأوسط في الأندلس و هي تقع في الشمال الشرقي من مجريط (مدريد) قام ببناء تلك المدينة سالم وهو أحد قادة البربر الذين دخلوا الأندلس في الفتح الأندلسي، أنظر (نزهة المشتاق ج2 ص 553).
 - (3)- كمال السيد أبو مصطفى: محاضرات في تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلسي ، دار الإسكندرية للطباعة والنشر، 1996، 269 صفحة، ص 246

وهذا ما أشار إليه "ابن خلدون" في كتاب ديوان العبر، على أن، "مجاهدا العامري" خرج من قرطبة سنة 400هـ/1010م ، و إتجه إلى طرطوشة و استولى عليها ، ثم لم يلبث أن غادرها و انتقل إلى دانية و اشتغل بها(1)

❖ الجانب الثقافي:

أما عن الحياة الثقافية لمدينة طرطوشة في عصر الفقيه المالكي أبا بكر الطرطوشي فإنها تميزت بعدة مميزات عليها تجعل هذه المدينة تنفرد بعدة خصائص على غرار باقي المدن الأندلسية فنأخذ بعض الخصائص العمرانية و أخرى علمية و ذلك على سبيل المثال لا الحصر، فنتطرق إلى :

أ/ المنشآت المعمارية :

تشير بعض المصادر الجغرافية إلى ازدهار عمران طرطوشة في العصر الإسلامي و هذا ما أشاد به العديد من الجغرافيين المسلمين ، فقد ذكرها الإدريسي بقوله : " مدينة عامرة ذات خطة فسيحة وأسواق وفيرة و عمارات و ضياع و حصون كثيرة"(2) ومما تجدر الإشارة إليه هو أنه كان يغلب على عمارات المدن الساحلية الأندلسية مثل طرطوشة و دانية ألميرية الطابع الحربي كما كانت عادة ما تزود بدار صناعة حربية كما كانت تزخر بالمنشآت الدينية كالمساجد و الحمامات و الفنادق و غير ذلك من المنشآت التي تميز المدينة الإسلامية(3).

(1)- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر، 1421هـ/2000م، 730 صفحة، ص164

(2)- الشريف الإدريسي ، المصدر السابق ص 555 .

(3)- كمال السيد أبو مصطفى، دراسات في حضارة المغرب الأندلس، المرجع السابق، ص 84

ب/ دار الصناعة :

كانت تقع دار الصناعة بطرطوشة على مقربة من النهر، و بجوارها كان يقع الحي المعروف بنفس الاسم أي حي دار الصناعة لكن لم نعثر على تاريخ يبين متى أسست دار صناعة السفن، و لكن الأرجح أن الخليفة "عبد الرحمن الناصر" هو الذي أمر ببنائها في سنة 333 هـ / 835 م، لم تكن دار الصناعة قاصرة على إنشاء السفن بل كانت تقوم أيضا بإصلاح سفن الأسطول الأندلسي (1).

ج/ جامع طرطوشة :

بناه الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة 435 هـ / 955م . كان بيت صلاة فيه، يتكون من خمس بلاطات ، و كان صحن هذا الجامع فسيحا، و من المرجح أن جامع طرطوشة كان يقع في وسط المدينة بدليل أن الكنيسة العظمى التي بنيت مكان الجامع، تشغل وسط المدينة (2) .

❖ الجانب العلمي:

أما فيما يتعلق بالحركة العلمية بمدينة طرطوشة في عصر الطوائف رغم حالة عدم الإستقرار السياسي التي عانت منها مثل غيرها من المدن الأندلسية الأخرى ، فقد تميزت طرطوشة في العلوم بمختلف أنواعها سواء تعلق الأمر بالعلوم النقلية أو العقلية و سنحاول ذكر بعضها على سبيل المثال :

-
- (1)- شكيب أرسلان، الحل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، ج3، مكتبة الحياة للنشر و الطباعة ، 694 صفحة، ص10
(2) -كمال السيد أبو مصطفى، دراسات في حضارة المغرب الأندلس، المرجع السابق، ص90

أ/العلوم النقلية :

1- علم القراءات :

نبغ عديد من العلماء في هذا المجال وتخصصوا فيه و لعل أبرزهم ، "محمد بن حسين الأنصاري الطرطوشي" ، و خلفه في هذا العلم ابنه الفقيه المقرئ، "حسين بن محمد الأنصاري الطرطوشي" المتوفي سنة 563 هـ (1) .

1- علم الحديث :

و قد نبغ في هذا المجال بعض علماء طرطوشة، ولعل أبرزهم "خلف بن هانيء" المتوفي بطرطوشة 508 هـ إلى جانب "عبد الله بن أبي دليم الطرطوشي" و أيضا

"أحمد بن مسعدة الطرطوشي" حدث ببلده كما تولى القضاء بها و المتوفي سنة 523 هـ

2- الفقه:

تميزت طرطوشة بعدد من الفقهاء و لعل أبرزهم: "عبد الله بن القاسم بن خلف بن هاني الطرطوشي" و الفقيه "أحمد بن سعيد بن مطرف" المعروف بابن الصباع، إلى جانب فقيها فريد عصره الفقيه الزاهد أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ، المعروف بـ"ابن أبي رندقة" المولود بتاريخ 450 هـ ، و المتوفي سنة 520 هـ . كان مدرس في الفقه المالكي (2) .

(1)- أبو عبد الله بن الأبار، التكملة، ج1، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر 1415/ 1995، بيروت، لبنان، 371صفحة، ص311

(2)- خلف بن عبد الملك بن بشكوال، الصلة، ج2، تح: شريف أبو العلاء، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2008، 1269 صفحة، ص575

ب/العلوم العقلية :

1/الأدب و الشعر :

تميز العديد من أهل طرطوشة في الأدب كما في ذلك من شعر و لغة و كان من أبرز الأدباء "أبو الربيع سليمان بن أحمد القضاعي الطرطوشي"، إلى جانب "يوسف بن على الطرطوشي" بالإضافة إلى محمد بن أحمد بن عامر البلوي.(1)

2/التاريخ والجغرافيا:

إلى جانب الأدب و الشعر و اللغة كان هناك علم لا يقل أهمية ارتبط بالرحلات ألا و هو التاريخ و الجغرافية فبرز فيه العديد من الجغرافيون و الرحالة و المؤرخون و لعل أبرز هؤلاء الرحالة و الجغرافيين "ابراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي" و هو رحالة يهودي الأصل اعتمد عليه بعض الجغرافيون اللاحقين بزمانه مثل "البكري"

و آخرون في مؤلفاتهم، كما هناك رسالة كتبها ابراهيم الطرطوشي للخليفة الحكم المستنصر يصف له فيها رحلاته ببلاد شرق أوروبا (2)

(1)- أبو عبدالله ابن الأبار، المصدر السابق ج2 ص 495
(2): كمال السيد أبو مصطفى ، دراسات في تاريخ و حضارة المغرب و الأندلس، المرجع السابق، ص102 .

الفصل الأول: ترجمة لأبي بكر الطرطوشي

المبحث الأول: مولد الطرطوشي ونسبه

هو الامام العلامة أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سلمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي الفقيه، عالم الإسكندرية وطرطوشة وكان يعرف أبو بكر في وقته بـ "ابن أبي رندقة"⁽¹⁾، قال عنه "ابن خلكان": "هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سلمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي، الفقيه المالكي الزاهد المعروف بـ "ابن أبي رندقة"⁽²⁾، كانت ولادة الطرطوشي في إحدى وخمسين وأربعمئة تقريباً⁽³⁾، وهذا ما أقرته الكتابات الحديثة بحيث تقول بأن أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المعروف، ولد في مدينة طرطوشة "tortosa"، شرقي الأندلس وذلك سنة 451هـ/1059م.⁽⁴⁾

هو العالم الفقيه الزاهد الورع محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سلمان بن أيوب القرشي الفهري الطرطوشي والمعروف بـ "ابن أبي رندقة"، ولد الطرطوشي في مدينة طرطوشة سنة 450 هـ أو 451 هـ /1059م ونشأ في هذه المدينة الأندلسية الكبيرة، وهي مدينة تجارية عظيمة وقد سبق ذكرها والتفصيل فيها

(1)- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، تح: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة للنشر، ط1، 1405هـ/1978م، 681صفحة، ص490

(2)- أبو العباس شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان و أنباءأبناء الزمان، ج4، تح: إحسان عباس، دار صادر للنشر، 1972م، 490صفحة، ص262

(3)-نفسه، ص26

(4)- صلاح جرار، أبو بكر الطرطوشي وجهوده في الإصلاح الإجتماعي، مجلة آفاق الثقافة و التراث، العدد 2، ربيع الثاني 1414هـ/سبتمبر 1993، من ص20 إلى ص30، ص25

فيما سبق، أمّا عن والده فإسمه "الوليد" وإنتهى نسبه إلى قريش فهو من أصل عربي واضح و أمّا ما ذكرته المراجع من كونه كان يعرف بـ"أبي الرندقة"، فلعله كُنِيَ بهذه الكنية الفرنجية في حياته، أما عن أفراد أسرته فإن والده كان عالما، وكان على شيء من الثراء، ولذلك استطاع الطرطوشي أن يعيش في وطنه حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره وهو عائلة على أهله يطلب العلم وهم يكفلونه⁽¹⁾

كما ذكر نسب الطرطوشي في كتابه "الحوادث والبدع"، فهو الإمام العلامة، القدوة، الزاهد، شيخ المالكية أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سلمان بن أيوب الفهري الأندلسي الطرطوشي الفقيه عالم الإسكندرية، وكان يعرف ي وقته بـ"ابن أبي رندقة"⁽²⁾ أما عن مولده فقد كان في سنة احدى وخمسين وأربع مائة.⁽³⁾

إلى جانب ترجمة أخرى للشيخ أبو بكر الطرطوشي تلك التي وردت في كتابه كتاب "الحوادث والبدع" فهو محمد بن خلف بن سلمان بن أيوب الطرطوشي الفهري، الإمام أبو بكر الأندلسي المعروف بـ"ابن ابي رندقة"، ولد سنة 451هـ/1059م في طرطوشة وهي بلدة من آخر بلاد المسلمين بالأندلس⁽⁴⁾ وقد ورد إسم الشيخ الطرطوشي في كتاب "تراجم شرقية" لمؤلفه "محمد عبد الله بن عنان" فيقول فيه عن الطرطوشي: "هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سلمان بن أيوب القرشي الفهري الطرطوشي ويعرف بـ"ابن ابي رندقة"

(1)- أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، تح: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، ط2، 1414هـ/1994م، 928صفحة، ص13

(2)- أبو بكر الطرطوشي، الحوادث و البدع، تح: علي بن حسن بن علي، دار ابن الجوزي للطباعة و النشر، ط1، 1411هـ/1990م، 200صفحة، ص13

(3)- نفسه، ص15

(4)- أبو بكر الطرطوشي، الدعاء المأثور، تح: عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ/2002م، 209صفحة، ص50

ولد بثغر طرطوشة في 26 جمادى الأولى سنة 451هـ (يوليه 1059م)⁽¹⁾

و يقول عنه "المقري" في كتابه "نفح الطيب": "هو أبو بو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سلمان بن أيوب الفهري الطرطوشي صاحب "سراج الملوك"، و يُعرف بـ"ابن أبي رندقة بالراء المفتوحة و سكون النون"⁽²⁾ والطرطوشي بضم الطائين فهي نسبة إلى طرطوشة من بلاد الأندلس وقد تُفتح الطاء الأولى، ولد سنة إحدى وخمسين وأربع مائة تقريبا، و قد ذكر شيخا أبوبكر الطرطوشي في كتاب "الديباج المذهب" لـ "ابن فرحون" فإنه يقول عنه: "هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلن بن سليمان بن أيوب الفهري المعروف بالطرطوشي" و منها أصله ، يُكني أبا بكر ويعرف بـ"ابن أبي رندقة". براء مهمل مضمومة ، ونون ساكنة ودال مهمل و قاف مفتوحتين ، نشأ بالأندلس ببلده طرطوشة⁽³⁾

ومن الطبيعي أن يرد إسم الطرطوشي في العديد من المصادر و المراجع التي إهتمت بتاريخ علماء المذهب المالكي بصفة عامة وعلماء السياسية بصفة خاصة فقد إنفرد الكاتب "جمال الدين الشيال" بدراسة عميقة فيما يخص شخصية الشيخ أبو بكر الطرطوشي فإنه يقول: "هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سلمان بن أيوب القرشي الفهري الطرطوشي، المشهور بـ"ابن أبي رندقة" ولد سنة 450هـ أو 451 هـ الموافق ل 1055 م في مدينة طرطوشة ، وإليها نسب⁽⁴⁾

- (1)- محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية شرقية و أندلسية، مكتبة الخانجي للنشر، ط2، 1390هـ/1970م، 420 صفحة، ص290
- (2)- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1996م، 720 صفحة، ص85
- (3)- ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب، تح: محمود بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1996م، 512 صفحة، ص371
- (4)- جمال الدين الشيال، أبو بكر الطرطوشي الزاهد العابد، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، 140 صفحة، ص06

أما عن أسرته فلسنا نعرف عن أسرته شيئاً فيقول "جمال الدين الشيال" فإن المراجع التي أرخت له لم تذكر حرفاً واحداً عن هذه الأسرة ، هل كانت هذه الأسرة غنية فنقول أنه نشأ في بحبوبة من العيش ؟ أو هل كانت فقيرة فنقول إنه ذاق مرارة العوز منذ طفولته الأولى ؟

لقد المتسنا مما سبق أنه لا نستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة إلا استناداً ،لما رواه الطرطوش في كتابة "سراج الملوك"، قصة واحدة عن فرد واحد من أفراد و أسرته و خلاصتها أن أسرة والدته كانت من سرقسطة و هذا ما يفسر اتجاهه إلى هذه المدينة في رحلته العالمية الأولى كما وردت قصة أخرى للطرطوشي تتحدث عن الشجاعة الخارقة لرجل اسمه "أبو الوليد بن فتحون" و قد كان خالاً لوالدة الطرطوشي، إذاً فوالدة الطرطوشي من أسرة ذات جاه في سرقسطة يمتن أحد رجالها فن الحرب، أمّا والد طرطوشي فأسمه الوليد، إذاً نسب الطرطوشي فيما وصل إلينا واضح وينتهي إلى قریش ،فهو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سلمان بن أيوب القرشي الفهري ،فهو من أصل عربي واضح، ولعله كُني بهذه الكنية الفرنجية في حياته لأمر لا نعرفه قد يتصل بالمعنى الحقيقي لهذا اللفظ (1)

المبحث الثاني: مصادر تعلم الطرطوشي ومشايخه

تواتر عن أهل العلم و طلبة أن العالم يعرف بشيوخه و رحلته ، و أن الذي لم يرحل لطلب العلم لاحظ له في الصدارة ولا وزن له إذا عُد الرجال، لذلك حرص الناس قد يما على السفر طلبا للأسانيد العالية والاجازات من الراسخين في كل فن و علم، ولا يعد الطرطوشي استثناء من هؤلاء فقد تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه طرطوشة، حيث لازم مشايخها بالمسجد الكبير ليهرز الرحال بعد ذلك متجولا باحثا عن ضالته في طلب العلم، فقد بدأ الطرطوشي رحلة العلم في مسجد طرطوشة الكبير على يد "أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي" من باجة الأندلس المتوفي سنة اربع وسبعون وأربعمئة بـ"الميرية"⁽¹⁾ فتلقى عنه الطرطوشي الكثير خاصة في مسائل الخلاف و قد لازمه أعواما طويلة خلال إقامته بسرقسطة حيث تأثر بتفكيره و فلسفته الكلامية ،كما تأثر أيضا بالمشهور "ابن حازم الاندلسي" وهو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غاية بن صالح بن سعدان ابن سفيان بن يزيد الفارسي و كُنِيته أبو محمد (ولد 384 هـ ، توفي 456 هـ) مشهود له بغزارة الفقه و مسائل الخلاف⁽²⁾ و فضلا عن ذلك فقد شهد الإمام الطرطوشي شبابه أحداث ملوك الطوائف و التي أملت عليه الكثير من نظرياته في السياسة و الاجتماع⁽³⁾ و تقر بعض المراجع على أن الطرطوشي قرأ

(1)- محمد مجي، موسوعة أعلام المغرب، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1996م، 571 صفحة،

(2)- وديع واصف مصطفى، ابن حزم و موقفه من الفلسفة و المنطق و الأخلاق، المجمع الثقافي للنشر، أبو ظبي،

1421هـ/2000م، 399 صفحة، ص23

(3)- أحمد أبو كف، أعلام التصوف، دار التعاون للطبع و النشر، ط2، 1414هـ/1994م، 196 صفحة، ص146

كذلك الفرائض و الحساب بوطنه وإن كانت لا تذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم هذين العلمين (1) ولقد وجد الطرطوشي الملاذ الآمن بمملكة سرقسطة ، فقد فرغ نفسه لطلب العلم خاصة وأنه وجد بها أكبر أئمة المالكية على غرار "أبي الوليد الباجي" السالف ذكره، و قد قرأ الأدب كذلك على يد "ابن حزم" لمدينة واشبيلية (2)

لم نجد من المترجمين من تحدث عن مسار رحلة الطرطوشي حتى مكة، و لكن اليقين حاصل أنه أقام بمكة و جاور مسجدها مدرسا لمجموعة من المعارف، خاصة علم الحديث كما أثبت ذلك صاحبه في طلب العلم زمن الأندلس عند الباجي بسرقسطة القاضي "أبو علي الصديقي" فقال: "صحبتة عند الباجي ، و لقيته بمكة و أخذت عنه أكثر السنن لأبي داوود (3)

و لم تكن العراق بعيدة عن طموح شيخنا أبوبكر الطرطوشي خاصة و أنها كانت في الوقت مزدهمة بالفقهاء و العلماء و تنبض بالنشاط العلمي حيث كانت هناك المدرسة النظامية التي تنسب لـ "نظام الملك" وهذه المدرسة كانت بمثابة القلب النابض للحركة العلمية هناك وقد و درس بها الطرطوشي يد "أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي" و "أبي أحمد الجرجاني"، و "أبي سعد بن المتولي" وهم يومئذ أئمة الفقه الشافعي (4)

(1)- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص08

(2)- علي أدهم، المرجع السابق، ص106

(3)- أحمد الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ج1، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط1، 1410هـ/1989م، 379 صفحة، ص139

أ/ مشايخ الطرطوشي بالأندلس:

1- أبو الوليد الباجي :

أخذ الإمام الطرطوشي العلوم عن ثلة من علماء عصره بالمغرب و المشرق و نحاول الآن ترجمة بعضهم

- على سبيل المثال لا الحصر-، فمثلا نجد أول من تتلمذ على يده شيخنا الطرطوشي هو "أبو الوليد الباجي" فقد اتصل الطرطوشي بـ"أبي الوليد الباجي" و أخذ عنه مسائل الخلاف و كان أبو الوليد شيخ الأندلس وعالمها في ذلك الوقت دون منازع ، خاصة بعد وفاة نده ومافسة "ابن حزم"، فإليه كانت تشد الرحال ، وإلى حلقة كانت تفد جموع الطلاب من مشارق الاندلس مغاربها ، و يبدو أن الطرطوشي بدأ يتتلمذ على يد الباجي وهو في سن العشرين أو نحوها أي حوالي سنة 470 هـ لأن "أبا لوليد الباجي" توفي سنة 474 هـ

- وقد سلف ذكر نسبه فيما سبق- (1)

ينتسب أبو الوليد إلى أسرة علم وتقوى و نبيل وحسن تدبير فكان والده من أهل العفة و الصلاح ووالدته أم سليمان فقيهة عابدة، و إخوته على وتيرة أبيهم من حسن التدبُّن، ولعل من أبرز شيوخه خاله ، طلب العلم و عمل على تحصيله بشتى الوسائل، تعلم في قرطبة و طرطوشة و سرقسطة و كذا على يد علماء الحجاز و العراق إلى جانب هذا فقد برع في القرآن الكريم، و الحديث، و الفقه، و أصول العربية و قواعدها ، وقد كان لمناظراته العلمية التي أجراها بالأندلس، و ظهور تأليفه الأصولية و الفقهية وإنتشار علمه و ذیوع صيته

الأثر البالغ في نفوس الناس، وقد إشتعل "أبو الوليد" بالمهام القضائية والسفارة بين ملوك الطوائف لإصلاح ذات البين لكن هذا لم يثنه عن نشر العلم و المعرفة والتدريس و التأليف، و لعل أبرز تلامذته "أبوبكر محمد المعافري ، و "أبو علي حسين الصديفي" و شيخنا "أبوبكر الطرطوشي"(1)

2- أبو عبد الله الحميدي:

إلى جانب هذه الشخصية الفذة نجد كذلك شيخاً آخر لأبي بكر الطرطوشي وهو "أبو عبد الله بن أبي تصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن يَصِل" عربي من الأزد، كانت عائلته تسكن محلة الرُصافة بقرطبة، ولد بجزر "البليار" في البحر المتوسط تجاه شرق الأندلس حوالي سنة 420 هـ. وقد إعتنت به عائلته منذ نعومة أظفاره فكان يُحمل إلى مجالس العلم، فقد قال عند تلميذه "بن طرخان" سمعت "أبا عبد الله الحميدي" يقول: "كنت أُحمل للسمع على الكتف و ذلك في سنة 425 هـ، فأول ما سمعت من الفقيه "أصبغ بن راشد" و كنت أفهم ما يقرأ علي"(2)

اشتهر "الحميدي" بصحبته لـ "ابن حزم" وقرأ عليه أكثر مصنفاته، وأكثر من الأخذ عنه فكان تأثير "ابن حزم" عليه عظيماً في آرائه العقائدية، وتبنيه للمذهب الظاهري، رغم أنه قرأ المذهب المالكي فروى من طريق شيخه "أصبغ بن راشد"، "رسالته" و"مختصر المدونة"، كما اتصل اتصالاً وثيقاً بالفقيه "أبي عمر بن عبد البر النمري" شارح "الموطأ"(3)

(1)- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج18، ص535

(2)- أبو عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: محمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي للنشر، ط1،

1429هـ/2008م، 720 صفحة، 07

(3)- أحمد محمد المقرئ التلمساني، المصدر السابق، ص115

اضطر "الحميدي" إلى الهجران و التوجه إلى المشرق لطلب العلم و ذلك سنة 448 هـ فحج و سمع من المحدثة الكبيرة "كريمة بنت أحمد بن محمد" و هي أشهر رواة صحيحة البخاري⁽¹⁾

ومن أبرز شيوخه نجد "أبوبكر الخطيب" و "صديق بن عثمان الديباجي" و صديقة الأمير "نصر ابن مأكولا" صاحب كتاب "الأكمال" و "العبدري" و "المقدسي" و السمرقندي" ، أما أبرز تلامذته - رغم أن المصادر لم تتحدث كثيرا عنها - نجد "أبو بكر الطرطوشي"، وقد توفي "الحميدي" سنة 488 هـ مما يرجح أن الفقيه أبوبكر الطرطوشي أخذ عنه الكثير⁽²⁾

ب/مشايخ الطرطوشي بالمشرق:

1- أبو بكر الشاشي:

الإمام العلامة الفقيه الأصولي اللغوي عالم خراسان" أبو بكر محمد بن علي بن اسماعيل الشافعي" إمام وقته، بما وراء النهر و صاحب التصانيف، سمع "أبو بكر الشاشي" عن "بن جرير الطبري"، و "عبد الله بن اسحاق" و "محمد بن محمد الباغندي" و "أبا القاسم البغوي"⁽³⁾ ، و قد قال عنه "الحميري" في كتابه "صفة جزيرة الأندلس": "و سكن بغداد و تفقه على يد "أبو بكر الشاشي" و سمع بها الحديث" أما عن "ياقوت الحموي" فقد قال عن الإمام الطرطوشي في كتابه "معجم البلدان": "ودخل بغداد البصرة، فتفقه عند أبي بكر

(1)- شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 10، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي للنشر، ط1، 1411 هـ ، 664 صفحة، ص 195

(2)- نفسه، ص 617

(3)- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج20، ص 283

الشاشي وأبي سعيد بن المتولي و أبي أحمد الجرجاني أئمة الشافعية ولقي القاضي أبا عبد الله الدمغاني⁽¹⁾

له مصنفات كثيرة لأحد مثلها، وهو أول من صنف الجدل الحسين من الفقهاء، و له كتاب في أصول الفقه وله شرح الرسالة وعنه انتشر فقه الشاعي بما وراء النهر، ومن أشهر تلامذته: "ابن مفده" و "الحاكم السلمي"، و "أبو عبد الله الحكمي"، وهو الذي صنف كتاب "التقريب"، ومن مؤرخي سنة ملاده و وفاته نجد "الحكام" الذي ربط تاريخ ميلاده بحوالي إحدي و تسعين و مئتين وتاريخ وفاته بآخر سنة خمس و ستين وثلاثمائة بـ "شاش"⁽²⁾

فلذلك نقول أن الطرطوشي من أبرز تلامذة "أبا بكر الشاشي" وذلك بالمدرسة النظامية ببغداد، رغم اختلاف التلميذ الطرطوشي باستاذة "الشاشي" في المذهب فالأول مالكي و الثاني شافعي⁽³⁾

2- أبو إسحاق الشيرازي:

هو الإمام "أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله الشيرازي الفيروزبادي" ولد سنة ثلاث وتسعين و ثلاث مائة تفقه بـ "فارس" على يد "أبي الفرج بن البيضاوي" و بالبصرة على يد "الجوزي" ثم على يد "الطبري" ببغداد و غيرهم من الأئمة المشهورين⁽⁴⁾

(1)- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص19

(2)- أبو بكر الشاشي، محاسن الشريعة، تح: محمد علي سمك، دار الكتب للنشر، ط1، 2007، لبنان، 616 صفحة، ص07

(3)- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص 18

(4)- أبو زكرياء النووي، تهذيب الأسماء و اللغات، تح: محمد منير، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1413 هـ، 398 صفحة،

أما عن أشهر تلامذته فنجد "أبو الوليد الباجي" و "الحميدي" وقد سلف ذكرهما و
التفصيل فيهما إلى جانب "اسماعيل بن السمرقندي" و "أبا بكر الطرطوشي" ⁽¹⁾، توفي
سنة ستة وسبعون و أربع مائة ودفن في قرية "بني أبو المسلمة" ⁽²⁾، وقد كان "أبو إسحاق
الشيرازي" إمام وقته ببغداد ، وقد قال عنه تلميذه أبو بكر الطرطوشي يصفه بالذكاء
المتوقد:

تراه من الذكاء نحيف الجسم
عليه من توقده
دليل

إذا كان الفتى ضخم المعالي فليس يضيره الجسم النحيل ⁽³⁾
وقال غير الطرطوشي في "الشيرازي" قولا عظيما ومنهم "أبو سعيد
السمعاني": "كان إمام العصر، ورحل إليه الناس من الأقطار وقصدوه من كل النواحي و
الأمصار، كان يُضرب به المثل في الفصاحة" ⁽⁴⁾

3-أبو بكر الجرجاني :

هو "أحمد بن محمد بن أحمد القاضي أبو العباس الجرجاني" ،صاحب "المعابة" و
"الشافى" و "التحبير" وغير ذلك ،وكان إماما في الفقه و الأدب، قاضيا بالبصرة و مدرسا
بها و له تصانيف في الأدب حسنة منها "كنايات الأدباء" ⁽⁵⁾

(1)- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، المصدر السابق، ص464

(2)- محمد بن عبد الغني البغدادي، التقييد لمعرفة رواة السنن و المسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، 1408 هـ
، 984 صفحة، ص132

(3)- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص20

(4)- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج18، ص454

(5)- أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني، كناية الأدباء و إشارة البلغاء، تح: محمود شاكر القطان، مطابع الهيئة
الحضرية 1996م ، 350 صفحة، ص02

سمع الحديث عن "أبي الحسن القزويني" و "أبي عبد الله الصوري" و "الماوردي" و "الخطيب" و "أبا بكر" وغيرهما كما سمع منه عديد العلماء الأجلاء أمثال "اسماعيل بن السمرقندي" و "أبي إسحاق الشيرازي" و "أبي الواحد البصري" إلى جانب شيخنا الجليل "أبو بكر الطرطوشي"، فبعدما اندمج في الحياة العلمية النشيطة و استمع إلى هذه النخبة الممتازة من العلماء الأجلاء لا بد أنه شارك فيها وأسهم في حلقاتهم، فإنه يروي في بعض كتبه التي ألفها بعد خروجه من العراق شعرا كثيرا سمعه أثناء مقامه في بغداد و البصرة و من بعض هؤلاء الشيوخ "أبي العباس الجرجاني" و "أبي محمد التميمي"، فهذا إذا دل على شيء فإنما يدل على أن شيخنا الطرطوشي سمع لمختلف العلوم الدينية و اللغوية على اختلاف العلماء ⁽¹⁾ وقد توفي القاضي "أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني" في سنة 482 هـ/1089م ⁽²⁾

المبحث الثالث: تلامذة الإمام الطرطوشي

أضحت مدينة الإسكندرية في أواخر القرن 05 للهجرة و أوائل القرن 06 للهجرة مقصد كل طالب و متجه كل عالم، و حطة الحجاج و المعتمرين، و كل وافد على المشرق و لغرض من الأغراض كلهم يروم زيارة عالمها الجليل الشيخ أبو بكر الطرطوشي الذي اقتسم الزعامة المعرفية مع الإمام أبي حامد الغزالي و قد تخرج على يده بمدرسته التي أسسها بالإسكندرية جمع غفير من الطلبة يزيدون عن المئتين جاؤوا من المغرب و مصر و الأندلس، ولعل أشهرهم و أقرب أصحابه إليه و الساهرين على خدمته نجد :

(1)- جمال الدين النشبال، المرجع السابق، ص21

(2)- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 05، تر: رمضان عبد الثواب، دا المعارف القاهرة، ط3، 392 صفحة، ص207

1-أبو العباس أحمد التوجبي: اسمه الكامل أبو العباس أحمد بن معد بن عيسى التجيبي

المعرف بـ"ابن الإقليشي" و كان عالما عاملا (1) و كما ذكر أيضا في كتاب " سير
أعلام النبلاء " على أنه العلامة أبو العباس أحمد بن عيسى بن وكيل التجيبي الإقليشي
الداني، سمع من أباه و تفقه على يده و سمع من سهره " طارق بن يعيش " و "ابن
الدباغ" و بمكة من " أبي الالفتخ الكروخي " و بالثغر من " السلفي " و في مصر من
"أبي بكر الطرطوشي " له تصانيف ممتعة و شعر و فضائل و يد في اللغة مات بـ
"قوص بعد الخمسين والخمسمائة (2)

2-أبو بكر بن العربي: هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي المعارفي
الإشبيلي ولد بإشبيلية سنة 468 للهجرة و صحب أباه في رحلته إلى المشرق و كان
حينذاك في السابعة عشر من عمره و تتلمذ في هذه الرحلة على يد كبار العلماء مصر و
الحجاز و الشام و العراق، ففي بغداد و حضر دروس أبي حامد الغزالي، وفي بيت
المقدس لازم أبي بكر الطرطوشي قبل أن ينتقل الإسكندرية و يستقر بها على يده، درس
علوم الدين المختلفة و الفقه بوجه الخصوص و الحديث و التفسير، و في سنة 493
لهجرة ترك بغداد إلى الإسكندرية لازم خلالها أستاذه القديم أبا بكر الطرطوشي فاتزاد
من علمه ووثق علاقته به و شى به الواشون فقبض عليه وسجن حوالي سنة بمدينة
"مراكش" و بعد إطلاق سراحه توفي و هو في طريقه إلى "فاس" وذلك حوالي سنة
543 للهجرة (3) و قد قال عنه "ابن بشكوال": "حتام علماء الأندلس و آخر أئمتها
وحفاظها " و نجد ترجمته بشكل واسع في كتاب "تاريخ قضاة الأندلس"، كما نجد له
عديد المؤلفات خاصة

(1)- محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، المكتبة السلفية المصرية، القاهرة، 231 صفحة،
ص154

(2)- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج20، ص43

(3)- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص166

في الحديث و الفقه و التفسير و الأدب و التاريخ مثل كتابه "العواصم و القواصم"، و

3-أبو الطاهر بن عوف: فهو الإمام العلامة صدر الدين أبي الطاهر بن عوف، قال عنه "ابن فرحون" في الديباج : "كان إمام عصره و فريد دهره في الفقه على مذهب مالك – رحمه الله – (2) كما يعد أول أستاذ لأول مدرسة في الإسكندرية، ولد حوالي 485 للهجرة، كان "ابن عوف" من العلاء الأعلام ، و مشايخ الإسلام ظاهر الورع و التقوى كتب عنه "الحافظ السلفي"، و روى عنه "شرف الدين بن المقدسي"، و بيت "أبن عوف" ببیت مصري إسكندري أصيل، نبغ فيه أكثر من عالم ملؤوا المدينة علما، أخذ بن عوف عن الكثير من الفقهاء المالكيين بالإسكندرية خاصة عن أبي بكر الطرطوشي و لا عجب في هذا فقد كان "بن عوف" ربيب الطرطوشي، وكان الطرطوشي قد تزوج خالة "ابن عوف"، وقد شهد "ابن عوف نهاية الدولة الفاطمية"، و قيام دولة "صلاح الدين الأيوبي" في مصر سنة 567 للهجرة و حرص "صلاح الدين" على حضور مجالس "ابن عوف و سمع منه "موطأ مالك" بروايته على أستاذه الطرطوشي و قد أشارت المراجع إلى أن نشاط "ابن عوف" لم يكن مقصورا على التدريس و حسب بل كان له نشاط مماثل في ميدان التأليف ولعل أبرز ما ألفه هو كتاب "الفاضح" و له مؤلف آخر يعرف بـ "تذكرة التذكرة" وهو في أصول الدين، أما عن مدرسته فهي أول مدرسة أنشئت في مدينة الإسكندرية بل في مصر كلها في العصر الإسلامي فقد سبقت المدرسة "السلفية" بغثنتي عشر سنة، لكن للأسف و في سنة 581 للهجرة توفي " أبن عوف " ودفن بالإسكندرية و لكننا لا نجد لمدرسته أو قبره أثرا اليوم، فقد ملأ المدينة علما، و قضى حياته الطويلة كلها يعلم و يدرس و يؤلف

(1)- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص70

(2)- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق ص110

4-المهدي بن تومرت: تعد شخصية المهدي بن تومرت من أكثر الشخصيات إثارة للجدل و الخلاف في الأوساط العقديّة عند غالب الفرق و الملل و الجماعات ، ولد محمد بن تمرت 473 للهجرة و نشأ في بيت متدين في قبيلة "مصمودة" و نسب نفسه إلى الحسن بن علي -كرم الله وجهه- لكن غالب الظن هو من قبائل الأمازيغ "البربر"، رحل من السوس الأقصى وهو شاب إلى المشرق فحج و تفقه، و حصل أطرافاً من العلم، فكان أماراً بالمعروف نهاءً عن المنكر، قوي النفس زعراً شجاعاً مهيباً قوياً بالحق عمالاً على الملك، ذا هبة ووقار، أخذ عن أبي حامد الغزالي و أبي بكر الطرطوشي، كان لهاجاً في علم الكلام، خائضاً في مزال الأقدام، ألف عقيدة لقبها بـ"التومرتية" فيها توحيد و خير بإنحراف حمل عليها أتباعه و سماهم "الموحدين" و نبذ من خالف المرشدة بالتجسيم و أباح دمهم و له فصاحة في العربية و البربرية (2)، قصد المهدي مدينة الإسكندرية و إتصل فيها بأبي بكر الطرطوشي و تتلمذ على يده، و هناك حاول أن يقيم نفسه أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، فخرج من المدينة و أبحر إلى المغرب و بعد عدة محاولات للإستقرار يتم له ذلك بمدينة "ملالة"، فلقب بها "عبد المؤمن بن علي" و هو شاب نابه و ذكي، فاتخذ مريداً و إتفقا معاً على الدعوة له بإعتباره المهدي المنتظر، و انتقلا إلى مدينة "مراكش" و حضر بن تومرت "علي بن يوسف بن تاشفين" و أنكر عليه بدعا و منكرات، و غادر ابن تومرت "مراكش" إلى موضع حصين من

(1)- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص69

(2)- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج 19، ص542

جبال "تينمل"، فبدأ يعرض الناس فأقبلوا عليه و أيدوه، فأخذ يحرضهم على "ابن تاشفين" ، فنشب القتال بينهم و بين جند الدولة، فقوى أمر بن تومرت منذ ذلك الوقت،

فجاهر بالدعوة و لقب نفسه بـ "المهدي القائم بأمر الله" ، لكن المهدي لم يعمر طويلا حيث توفي سنة 534 للهجرة قبل أن يتم له فتح مدينة "مراكش" فأتم الفتوح بعده صاحبه "عبد المؤمن بن علي" و هو بذلك يعد المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية وعن آثاره فله مؤلفات عديدة لعل أبرزها "كنز العلوم" ، "أعز ما يطلب" و قد ترجم للغة البربرية نسب نفسه للنبي -صلى الله عليه وسلم- لكن هذا النسب مشكوك في أمره (1)

4- سند بن عنان: هو الإمام الفقيه أبو علي سند بن عنان بن ابراهيم بن حريز، تفقه و لازم الإمام أبو بكر الطرطوشي و كان أقرب تلامذته إليه، أخذ عنه العلم والفقه وفلسفة الزهد جلس في حلقة من بعده و إنتفع به الناس و شرح كتاب "المدونة" في فقه المالكية شرحا كبيرا في ثلاثين مجلدا سماه "الطراز" غيره أن توفي قبل إتمامه، لإلقاء الدروس و خاصة الفقه المالكي و استمر في التدريس حوالي 21 سنة حتى وفاته عام 541 للهجرة ، دفن "بن عنان" بمسجد "الحافظ السلفي" بغرفة مستقلة عن المسجد و ذلك بالإسكندرية بالقرب من أستاذه الطرطوشي بشارع الباب الأخضر حاليا بالسك الحديدية بحي "الجمرك" قسم "اللبان" ، ومنه فما تجدر الإشارة إليه في التعريف بـ "ابن عنان" هو أنه كان من أنبغ تلامذة الطرطوشي و أقربهم إليه (2)

(1)- جمال الدين الشيبان، المرجع السابق، ص72

(2)- نفسه، ص64

المبحث الرابع: وفاة الشيخ أبو بكر الطرطوشي و أهم آثاره

بلغ أبو بكر الطرطوشي مكانة عالية، وصار من أقطاب الفقه المالكي في عصره، وأصبح ملجأ الناس في الفتوى يلوذون به حتى تضل بهم السبل، ثقة منهم في

علمه ودينه و أمانته، وتطلع إليه الحكام إلتماساً للرأي والمشورة وطلب للفتيا فيما يقدمون عليه من أعمال، فطلب منه عاهل دولة المرابطين يوسف بن تاشفين فتواه في إقدامه على خلع ملوك الطوائف في الأندلس، وذلك لإنغماسهم في اللهو وإنصرافهم عن الرعية، فأفتاه بذلك، متفقاً مع ما أفتى به فقهاء المغرب والأندلس من جواز ذلك فقد نجح الشيخ أثناء إقامته بالاسكندرية، من إحداث نشاط علمي وافر، وتلمذ على يد الشيخ عدد كبير من الفقهاء، حمله بعضهم الراية من بعده، مثل "سند بن عنان" الذي خلف الطرطوشي في مدرسته، و"أبي الطاهر بن عوف"، وكانت له مدرسة مستقلة. ظل الطرطوشي يواصل عمله في مدرسته حتى توفي في 26 جمادى الأولى 520 هجري/20 يونيو 1127 ميلادي وهو في التاسع والستين من عمره.⁽¹⁾

كما يقال أن الطرطوشي توفي في ثغر الإسكندرية في العشرين من جمادى الأولى سنة 520 للهجرة وقد ناهز 69 سنة من عمره ودفن بمقبرة "وعلة" قريباً من البرج الجديد قبلى الباب الأخضر، وقد عرف قبره فيما بعد وأقيم عليه مسجد يُسمى بمسجد الطرطوشي وهو ما يزال قائماً حتى اليوم.⁽²⁾

(1)- صلاح جرار، المرجع السابق، ص20

(2)- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص297

إلى جانب هذا يشار في كتاب "الحوادث البدع" فقد قال فيه ابن المفضل أن وفاته كانت بالاسكندرية في جمادى الأولى لكن سنة 521 للهجرة -رحمه الله- وهذا ما يتناقض مع القول الأول السالف الذكر.⁽¹⁾

أما فيما يتعلق بمسجد الإمام الطرطوشي، فنجد جملة وتفصيلاً في كتاب أعلام التصوف، إذ أن مسجد الإمام الطرطوشي بدون قبة أو مئذنة وهو لا يليق بعالم صوفي مسلم ملأ الدنيا في حياته وشغل الناس الحكام قبل الرعية، وسيدي الطرطوشي مدفون

في مقبرة وحوله مجموعة من أولياء الله الصالحين ومنهم سيدي محمد العقباوي وسيدي محمد الأسعد، وغيرهما مما تدل عليه تلك الشواهد الرخامية المكتوبة بالخط الكوفي والتي تحتاج لمن يزيل عنها التقاب و سقرلاً سطورها و كلماتها ليبرزها ، فضريح الطرطوشي من الصعب أن تجده في الإسكندرية إلاّ بعد عناء طويل وهو بباب الكراسته بمنطقة الجمر ك، وليس في الضريح من القديم سوى عمودين من الطراز الكورينشي ومقصورة خشبية ، كما أنه ليس عليه كسوة كما هو حال أضرحة أولياء الله الصالحين الآن فالمسجد والضريح في حارة مسدودة جانبية ، وقد أغلق لأنه آبل للسقوط فيقول صاحب خطط مسجد الطرطوشي بأنه كان مخرباً فأصلحه "إبراهيم مورو" سنة 1270 للهجرة وقد تمت إصلاحه والدّة الجانب "الخدوي" وهو الآن تقام به الشعائر، لكن يبدو أن النّاس قد نسوا أنه كان هناك بالإسكندرية مسجد لأبي بكر الطرطوشي الرجل الذي دافع عن المظلومين. (2)

(1)- أبو بكر الطرطوشي، الحوادث و البدع، المصدر السابق، ص19

(2)- أحمد أبو كف، المرجع السابق، ص158

ولعل الراجح هو ما ورد في كتاب سير أعلام النبلاء، وهو أن وفاته كانت في جمادى الأولى سنة عشرين وخمسائة للهجرة، إذ قال أبو الفضل: "وفيها مات أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن طريف، وأبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي الواعظ أخو الإمام أبي حامد الغزالي، و الأمير قسيم البرشقي الذي استولى على الموصل وحلب، وأبو بحر سفيان بن العصا لأسدي بقرطبة، وأبو بكر الطرطوشي، وصاعد بن سيّار الهروي الحافظ و أبو محمد محمد بن عتاب القرطبي، و قاضي الجماعة أبو الوليد بن رشد، ومحمد بن بركات السعدي راوي صحيح البخاري. (1)

آثار الشيخ الطرطوشي:

تتنوع مؤلفات الطرطوشي بين الفقه و فروعه المالكية و الأصول والتفسير والحديث و السياسة الشرعية و غيرها فمنها ما طبع ومنها ما فقد ومنها ما يزال مخطوطاً رهين المكتبات.

أ/ المفقود من أعماله:

1- "التعليقة الكبرى في الخلافات": وهذا الكتاب قد ذكره ابن فرحون في كتابه "تبصرة الحكام في أصول القضية ومناهج الأحكام" في جزئه الأول، كما ذكر في كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي في جزئه السابع، وقد تكرر ذكره كذلك في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان في جزئه الثالث ، كما ذكره أيضاً ابن مخلوف في كتابه شجرة النور الزكية .

(1)- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ص464

2-"مختصر كتاب أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم": اذى ذكره ابن خيّر في كتابه "الفهرسة" ، كما ذكر أيضاً في كتاب "أبي بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر" لجمال الدين الشيال".

3- جزء فيه "منتخب في عيون خصائص العباد": الذي ذكره أيضاً ابن الخير في الفهرسة ، وتكرر ذكره ايضاً عند ابن مخلوف في كتاب "شجرة النور الزكية" (1)

4- كما له رسالة في " تحريم جبن الروم": وقد ذكرها البغدادي في "هدية العارفين" الجزء الثاني ، وذكرها أيضاً ابن مخلوف في كتابه "شجرة النور الزكية".

5- كتاب الفتن وقد ذكره ابن خلكان في كتابه " وفيات الاعيان" الجزء الرابع وردد أيضاً في كتاب "هدية العارفين للبغدادي" الجزء الرابع كما ذكره ايضاً خير الدين

الزركلي في "كتاب الاعلام في الجزء السابع، وقد تصل كتب الشيخ أبو بكر الطرطوشي الى ما يقارب العشرين كتابا مفقودا ذكرها غير واحد ممن ترجم له نذكر منها :

- رسالة العدة في الكروب والشدة، وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وكتاب النهاية في فروع المالكية، وكذا كتاب نفائس الفنون، وكتاب في الرد على اليهود، والعمد في الأصول، وسراج الهدى وزاد المسافر وكتاب أصول الفقه، وكتاب إحياء الليل الذي رد فيه على إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي (2)

(1)- صلاح جراج، المرجع السابق، ص20

(2)- جمال الدين الشيبان، المرجع السابق، ص34

ب/المخطوط من أعماله:

كانت لأبي بكر الطرطوشي جملة من الأعمال لا تزال على شكل مخطوطات نذكر منها:

1-"تحریم الغناء واللہو علی الصوفیة فی رقصہم وسماعہم"، ویوجد بقسم الوثائق مجموع بالخزانة العامة بالرباط رقم 85 من الصفحة 308 إلى الصفحة 334، و ذکر أن نسخة أخرى بمدرید رقمها 5341.

2-"تحریم الإستمناء" وتوجد نسخة من هذه الرسالة بخزانة برلین رقم 4981

3-"نزهة الإخوان المتحابين في الله"، بخزانة كوتا بألمانيا رقم 909 .

4-"الأسرار والعبر"، ذكر العلامة المنوني أنه وجده بخزانة خاصة بمراكش ونشر بعضه في مقال بحوليات كلية الآداب بالرباط عدد 09، سنة 1988، كما ذكره أبو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك في الصفحة 211.

5-كتاب "المجالس"، يوجد ضمن بالخزانة العامة بالرباط رقم 1095 ويتكون من 75 ورقة

6-"غريب المعاني ولطيف التداني"، وهو مخطوط بخزانة سيدي يوسف بن علي بمراكش في مجموع قسم التفسير.

7-"مختصر الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، ويوجد بدار الكتب والوثائق القومية بمصر ويتكون من 200 ورقة (1).

(1)- صلاح جرار، المرجع السابق، ص23

ج/المطبوع من أعماله:

1- سراج الملوك: طبع بدار رياض الرئيس للكتب والنشر، فالطبعة الأولى كانت سنة 1990 بتحقيق جعفر البياتي ويتكون من 629 صفحة.

2- الحوادث والبدع: حققه "عبد المجيد التركي" وطبع ببيروت والطبعة الأولى كانت سنة 1990، بدار الغرب الإسلامي ويتكون من 495 صفحة.

3- الدعاء المأثور وآدابه وما يجب على الداعي إتباعه و إجتنابه: حققه الدكتور

"محمد رضوان الداية" نشرته دار الفكر المعاصرة ببيروت في طبعته الأولى سنة 1988، ويتكون من 368 صفحة.

4- بر الوالدين وما يجب على الوالد لولده وما يجب على الولد لوالده: حققه "محمد عبد الحكيم القاضي" وصدر في طبعته الثانية عن مؤسسة الكتب الثقافية سنة 1988، ويتكون من 211 صفحة.

5- كما له جزء عارض به كتاب إحياء علوم الدين "الأبي حامد الغزالي" وذكره "عبد الحميد العثماني" في كتابه "سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه" طبع بسوريا بمطابع دار الفكر الدمشقية.⁽¹⁾

(1)-صلاح جرار، المرجع السابق، ص23

الفصل الثاني: الدور العلمي لأبي بكر الطرطوشي

المبحث الأول: الرحلات العلمية لأبي بكر الطرطوشي

تواتر عن أهل العلم وطلابه أن العالم يُعرف بشيوخه ورحلته، وأن الذي لم يرحل لطلب العلم لا حظ له في الصدارة ولا وزن له إذا عُد الرجال، فشيخنا الطرطوشي لما أراد الرحيل إلى المشرق لطلب العلم كان شديد الخوف على نفسه لجهله بالتجارة و بأية حرفة، لكنه في الواقع ذهب ومعه ما هو أهم، دعم مادي من أسرته وكنز من العلوم في رأسه، رحل الطرطوشي وهو شاب يافع في حوالي الخامسة و العشرين من عمره سنة 486 للهجرة وذلك نحو مكة المكرمة حيث قام بأداء فريضة الحج و استقر بها لبعض الوقت⁽¹⁾

1-الطرطوشي بمكة:

لم نجد من تحدث عن رحلة الطرطوشي حتى مكة، لكن اليقين حاصل أنه أقام بمكة وحاوّر بمسجدها مدرّساً لمجموعة من المعارف خاصة علم الحديث كما أكد ذلك صاحبه في طلب العلم زمن الأندلس عند "الباجي" بسرقسطة نقصد "علي الصديقي" فقد قال: "صحبتّه عند الباجي ولقيته في مكة وأخذت عنه أكثر السنن لأبي داوود عن التستري"⁽²⁾

لم يمكث الطرطوشي في مكة طويلاً بل استأنف رحلته وإتجه إلى بغداد فإن مواطنه وزميله "أبا علي الصدي" الذي قابله في مكة، يستطرد حديثه عنه فيقول: "ثم دخل بغداد وأنا بها" (3)

(1)- أحمد أبو كف، المرجع السابق، ص146

(2)- أحمد الضبي، المصدر السابق، ص139

(3)- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص14

2- الطرطوشي بالعراق:

لقد كانت حواضر العراق مقصد الطلبة من كل صقيع لأنها عُرِفَتْ بمدارسها و مساجدها و بسخاء أمرائها الذين لم ييخلوا عليهم ولم يدخروا جهداً ولا مالاً في بناء المدارس و إجراء النفقات عليها، وترسيم الأوقاف لحاجياتها و المقيمين بها، وكانت فقد كان كتاب "سراج الملوك" مفخرة لحكام العراق بالثناء عليهم حاصة الوزير "نظام الملك" الذي اشتهر بجوده في رعاية العلم والعلماء⁽¹⁾

وقد ذُكر في كتاب "سير أعلام النبلاء" أن الطرطوشي دخل بغداد في حياة "أبي نصر الزينبي" وأظنه سمع منه فقال: رؤية بها آية في سنة ثمان وسبعون، بعد العصر، فسمعنا دويًا عظيمًا وأقبل ظلام، فإذا ريح لم أر مثلها ، وبقيت ساعة إلى الغروب"، وقد حدث عنه "أبو الطاهر السلفي"، والفقيه "بن المقدم"، و "جوهر بن لؤلؤ"، و الفقيه "صالح المالكي" و "عبد الله بن عطف الأسدي" وآخرون، و بالإجازة "أبو الطاهر الخشوعي" و غيره⁽²⁾

لقد اشتهر ببغداد في ذلك الوقت مركزاً من أكبر مراكز العلم في العالم الإسلامي ونقصد بذلك المدرسة النظامية وكانت محط رحال العلماء يفدون إليها من أقصى المشرق و المغرب، فكان لابد لأبي بكر الطرطوشي أن يرحل إليها ليكمل دراسته

ويتصل بعلمائها ويتلمذ عليهم، ويأخذ عنهم، فقد ذكر الطرطوشي بعدما تحدث عن النهضة وفضل نظام الملك عليها الذي أسس ما يعرف بجيش الليل وهو جيش العلماء و الفقهاء و الصوفية الذي يكونه ويغدق عليه العطاء، له ضرورة بقدر ما لجيش الدولة الآخر جيش

(1)- أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، المصدر السابق، ص379

(2)- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ص494

الجنود والقواد، وأن دعاء جيش العلماء يتعاون مع سهام جيش الجنود في تدعيم أركان الدولة و يثبت أركانها ولعل أبرز ما يخص به ذكر نظام الملك في التاريخ أنه منشئ المدارس في العالم الإسلامي، فقد كانت المساجد في عصره هي معاهد العلم، وسميت بالمدرسة النظامية نسبة إلى هذه الشخصية العظيمة، وقد بُنيت قبل وصول فقيها الطرطوشي إلى بغداد بسنوات قليلة، وقد شهد الطرطوشي نظامية بغداد وهي في أوج عطائها وعظمتها وقد تتلمذ بها ووصفها وذكر قصة بنائها، ومن هنا فما تجدر الإشارة إليه هو أهم أساتذة الطرطوشي وإن كنا قد فصلنا في التعريف في المبحث الثاني من الفصل الأول بهم سالفاً أمثال "الشيرازي" و"أبي بكر الشاشي" وحجة الإسلام "أبي حامد الغزالي"⁽¹⁾

دخل أبو بكر الطرطوشي بغدا إذن وهي تشع بالعلماء وتضج بالنشاط العلمي المتشعب النواحي والمدرسة النظامية هي واسطة العقد وهذا مركز النشاط، وكبار العلماء يتنافسون في سبيل الوصول إلى كراسي الأستاذية بها، ولكل أستاذ تلاميذه الذين يتعصبون له ويفخرون به للتلمذ على يده⁽²⁾، فإندمج أبو بكر الطرطوشي في هذه الحياة العلمية النشطة وإستمع إلى هذه النخبة الممتازة من العلماء الأجلاء، ولا بد أنه شارك فيها وأسهم في حلقتها فإنه يروي في بعض كتبه التي ألفها بعد خروجه من العراق

شعرا كثيرا سمعه أثناء مقامه في بغداد والبصرة، ومن بعض هؤلاء الشيوخ من أمثال "أبي العباس الجرجاني"، و"أبي محمد التميمي"، والشعر الذي يرويه ينم عن نفس زهيدة استطاع الطرطوشي بها إلى حياة الزهد و التصوف فقد ضمنه في كتابه "سراج الملوك"، وقد غادر الطرطوشي بغداد سنة 479 للهجرة، بعدما بلغ 35 سنة

(1)- جمال الدين الشَّيَال، المرجع السابق، ص18

(2)- أحمد أبو كف، المرجع السابق، ص147

من عمره (1)

3- الطرطوشي بالشام:

قضى الطرطوشي أكثر من عشر سنوات بالشام مدرسا، ومجادلا الطوائف و الفرق و النحل كما ذكره تلميذه "أبو بكر بن العربي" الذي أشار إلى أن الطرطوشي أقام ببيت المقدس، وجال في أرجاء دمشق وحلب وجبل لبنان و غيرها، و تجمع مصادر ترجمته أنه قضى أغلب حياته بهذه الديار قبل المغادرة النهائية إلى مصر، وقد شهدت بلاد الشام خلال إقامته اضطرابا داخليا بين الحكام و نقصد بذلك الأتراك المتحكمين في عرش الخلافة مما أضعف شوكة المسلمين و أدى إلى سيطرة الصليبيين على أرجاء كبيرة من الشام حتى بيت المقدس(2)

تميّز الطرطوشي منذ دخوله الشّام غلى آخر حياته أنه عالم زاهد بل لعلّه أقرب إلى الحقيقة أن نقول زاهد عالم فقد قال عنه "ابن فرحون": "الذي عند أبي بكر الطرطوشي من العلم هو الذي عند النّاس والذي عنده مما ليس مثله عند غيره دينه"(3)

و ما تجمع عليه المراجع التي ترجمت له أنه قضى الفترة التي عاشها في الشام يعلم الناس فأقبلوا عليه وأحبوه، وأفادوا من علمه فعلى إسمه، و ذاع صيته، أنه عاش

هناك متقشفا، عابدا، زاهدا، منقبضا عن الناس ، وكان أصحاب الحكم يسعون إليه وإلى بره ، ولكنه كان ينصرف عنهم ، ويتشدد عليهم في القول

(1)- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص27

(2)- أبو بكر محمد بن خير الأموي، فهرست بن خير، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 1998م، 488 صفحة، ص59

(3)- ابن فرحون المالكي، المرجع السابق، ص276

و إسداء النصيحة، وكان له -رحمه الله- نفس أبية فليل أنه كان ببيت المقدس يطبخ في شقة، وكان مجانباً للسلطان معارضا عنه وعن أصحابه، شديدا عليهم مع مبالغتهم في بره، و الطرطوشي الذي كان يجانب السلطان، كان يقوم الليل متعبدا أثناء مقامه في بيت المقدس، وعن بيت المقدس يجدر بنا أن نشير إلى أن الطرطوشي زار بيت المقدس رغبة في مقابلة "أبي حامد الغزالي" (1)

ولبت الطرطوشي بـ"أنطاكية" في أواخر سنة 490 للهجرة وهي في تلك الفترة دار حرب وهذا ما جعله يتركها ويتجه نحو مصر، ونزل أول ما نزل في مدينة "رشيد" ثم غادرها إلى مدينة "الإسكندرية" حيث اتخذها مقرا له (2)

4- الطرطوشي بمصر:

انتهت الرحلة بالطرطوشي إلى بلاد مصر التي ساد فيها في ذلك الحين مذهب العبيديين وحكمهم، وكان صاحب أمرهم يومها "الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي" الذي نشر المذهب الفاطمي بمصر كلها خاصة بعد أفول نجم أهل السنة على يد الأتراك و الإفرنج، وبعد أن استقر الطرطوشي فترة من الزمن ببلاد الشام أثر الانتقال إلى مصر فرحل إليها واستقر بمدينة "رشيد" غير أنه سرعان ما انتقل للإقامة في الإسكندرية بناءً على طلب أعيانها و فقهاءها لحاجتهم الشديدة إلى فقيه كبير يتصدر حلقات الدرس في مساجدها ليفقه الناس في أمور دينهم فلما علموا بوجود الطرطوشي

(1)- جمال الدين الشّيبّال، المرجع السابق، ص29

(2)- نفسه، ص32

القدوم إلى الإسكندرية وألحوا في طلبهم فقبل رجائهم و إنتقل إلى الإسكندرية وبدأ يدرس الفقه وينشر العلم على مذهب الإمام مالك، فتوافد الناس عليه و تجمعوا حوله، وتزايد تلاميذه الذين يأخذون عنه و يقرؤون عليه و يستفيدون من علمه، على الرغم من أن المذهب الرسمي للدولة الفاطمية وقتها كان المذهب الشيعي لكن مدينة الإسكندرية ظلت مدينة سنية على مذهب الإمام مالك، و بالاسكندرية تزوج الطرطوشي سيّدة فاضلة تقيّة من بيت من أكبر بيوت الإسكندرية، وهي بنت خال تلميذه وخليفته "أبي الطاهر"⁽¹⁾

لم يلبث الطرطوشي في الإسكندرية إلا قليلاً حتى عرف واشتهر، وجذب الطلاب و العلماء إلى حلقات دروسه، وبعد تزوجه من تلك السيّدة، أطلقت يده في أموالها وتحسنت أحواله، ووهبته داراً من أملاكها، جعل سكنه معها في الدور الأعلى، وإتخذ من الدور الأسفل مدرسته يلقي فيها دروسه، ويستضيف فيها طلاب العلم من الغرباء و الوافدين على الإسكندرية⁽²⁾

المبحث الثاني: الدور العلمي لأبي بكر الطرطوشي

لقد اختلف الطرطوشي عن سابقيه سواء حول طريقة تفكيره أو في منج بحوثه، فقد فتح آفاق جديدة لم تخطر لأسلافه الذين عالجوا قبله موضوع السياسة الملكية، فهو يحاول في بعض نظرياته أن يستقرئ أحداث عصره و خواصه و يستخرج منها بعض المبادئ الاجتماعية على نحو ما فعل بعده "ابن خلدون" حيث جعل

(1)- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص167

(2)- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص46

من المجتمع كله، ومن تاريخه مادة التأمّلات، إذ يرى "ابن خلدون" أن الطرطوشي قد حوّم في كتاب "سراج الملوك" و بووبه على أبواب تقرب من أبواب كتابه و مسائله⁽¹⁾، و لقد تأثر الطرطوشي في عرض نظرياته الاجتماعية بالأخص بما شاهده في وطنه - الأندلس - من أحداث و تطورات غير عادية فهو قد عاصر أيام ملوك الطوائف بالأندلس و قضى شطرا من شبابه في مملكة سرقسطة و شهد عن قرب أساليب ملوك الطوائف، إذ كان من أبرز نظريات الطرطوشي في ذلك أن عصبية الدولة أو قوتها الحامية إنما تقوم على الجند قبل المال و أن الأموال يجب أن تتفق على الاستكثار من الجند و أن خير ما يدعم هذه العصبية هم الجند، أهل العطاء المفروض - يقصد الجند- الذين يتناولون أجورهم كل شهر⁽²⁾، كما يرى الطرطوشي أن من أسباب ضعف المسلمين و تدهور أحوالهم بالأندلس هو اهتمام ملوك الطوائف بجمع المال و الركض وراءه ولم ينفقوه على الجند من جهة و على من يستحقه من جهة ثانية، فيحبذ الطرطوشي إنفاق السلطان للمال على العلماء و يعتبر ذلك من دعائم الملك والدولة و يستشهد على ذلك بقصة الوزير الشهير "نظام الملك" مع مليكه "أبي الفتح بن ألب أرسلان" ملك الترك، فقد إحتج هذا الملك على وزيره بضخامة ما ينفقه من الأموال على دور العلم والعلماء، فأجابه بأن هذا المال ينفق على "جيش الليل" الذين يقومون صفوفًا بين يدي ربهم يرسلون دموعهم ويطلقون بالدعاء ألسنتهم للملك والجيش وقف

(1)- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص294

نظريات الطرطوشي النقدية والاجتماعية عن أحداث وطنه-الأندلس-التي عاصرها في آخر عهدها (1)

1-الفقه:

كما بلغ الطرطوشي كفقيه من أقطاب الفقه المالكي، مرتبة الإمامة ومن ثم فإننا نرى عامل المرابطين أمير المسلمين "يوسف بن تاشفين" يطلب رأيه فتواه إلى جانب أبي حامد الغزالي في أكبر شؤونه السياسية والعسكرية، ومن ذلك مشروعه خلع ملوك الطوائف وافتتاح ممالكهم باعتبارهم خارجين على أحكام الشريعة والدين، وهو ما أفتى به فقهاء المغرب والأندلس وقد أيد الطرطوشي هذه الفتوى ونفذ أمير المسلمين مشروعه بافتتاح ممالك الأندلس⁽²⁾

2-الأدب:

إلى جانب هذا كان الإمام أبو بكر الطرطوشي أديبا بارعا وشاعرا محسنا من شعره قوله في الغزل الروحي وهو من أجمل ما قال:

أقلب طرفي في السماء ترددا
لعلّي أرى النجم الذي أنت تنتظر

واستعرض الركبان من كل جهة
لعلى بمن تسم عرفاك

اُظْفَر

وأستقبل الأرواح عند هبوبها
لعل نسيم الروح عنك

الخبر

(1)- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 297

(2)- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص 372

كما قال أيضا:

وأنت بانجازها

إذا كنت في حاجة مرسلا

مغـرم

به صمم اعطش أبكم

فأرسل بأكمه خلابـة

رسول يقال له الدرهم⁽¹⁾

فدع عنك كل رسول سوى

3- التصوف:

لقد روى الطرطوشي الكثير من الأشعار والتي علها تعطينا صورة واضحة لهؤلاء العلماء الذين اخذ عنهم فكانوا جملة من المتصوفة — رغم تمكنهم في مجال الفقه خاصة وعلوم الدين عامة، فكان اعتقادهم بأن الحياة الدنيا نعيم زائل وهذا ما جعل إمامنا الطرطوشي يتأثر بذلك تأثير كبيراً حتى عد من المتصوفة ⁽²⁾ فقد روى أبو بكر الطرطوشي مشائخة العراقيين شعراً تضمنه كتابه "سراج الملوك" يذكر فيه بالأمم التي مرت وما خلفته من قصور وعمارات وكيف انتهى كل هذا إلى الزوال فيدعو بذلك إلى الاتعاظ من هذا كله فيقول — مما يرويه عن أبي العباس الجرجاني:-

قد كان العمر بالذات والطرب ؟

بالله ربك كم قصر مررت به

فصاح من بعده بالويل والحرب

طارت عقاب المنايا في جوانبه

(1)- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص26

(2)- نفسه، ص2

كما روى عنه أيضا بالبصرة :

إن كنت تسمو إلى الدنيا وزينته فانظر إلى ملك

الأملاك قارون

زم الأمـور فأعطته مقـاد وسخر الناس بتشديد واللين

حتى إذا ظن لاشيء غالبه ومكنت قدماه أي

تمكين⁽¹⁾

4- الفلسفة :

إن الحديث الذي رواه الطرطوشي والذي جرى بينه وبين أحد العراقيين له دلالة واضحة على أن موضوعات الحياة الدنيا وقيمتها وزوالها ، الإنسان وجهوده ومصيرهم ، العبرة المأخوذة من كل هذا، كانت مجال للمناقشة دائما بينه وبين أنداده من علماء العراق ، فيروي الطرطوشي في كتابه "سراج الملوك" إحدى هذه المناقشات والتي يصف حاله فيها بأنه أصابه طيشا وبلبلت أفكاره وذلك انه في يوم من الأيام بالعراق وهو يشرب الماء فقال له صاحبه – وكان ذو عقل راجح – لعل هذا الكوز الذي تشرب منه كان إنسانا يوما من الأيام ، فمات فصار ترابا وبعده جعل كوزا كما ترى وصار أنية يمتنهن ويستخدم بعد إن كان بشرا سويا يأكل ويشرب، فهذه النظرية العميقة إلى الإنسان وحقيقته ومصيره كيف خلق ومما خلق؟ هزت كيان الطرطوشي هزا كبيرا، وأدرك ما وراء هذه من حقيقة فأخذ في المجالات الحقيقة يحللها ويؤكد على إيمانه بها⁽²⁾

(2) - جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص 23

سر إن استطعت في الفضاء رويدا لا اختيلا على رفات العباد

كما يذكرنا بالشاعر عمر الخيام فهو من قال في رباعيته :

قد كان هذا الذي صبا أسير مثلي، سبته مسدلات الشعور

ومايد الإبريق إلاي_____

جیب عزیز (2)

فمن المنطقي إذا أن عمر الخيام عاصر الإمام الطرطوشي، فهل يسمع منه ، أو هل سمع شعره فتأثر به وبان ذلك الأثر فيما كتبه في كتاب سراج الملوك وهذا نتيجة لتشابه كلام الطرطوشي بشعر الخيام إنطلق الطرطوشي يفكر في هذه اللفتة الفلسفية، راح يعرض كل الاحتمالات الممكنة التي قد ينتهي اليها الانسان بعد

(1)-جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص23

(2)- صلاح جرار، المرجع السابق، ص 23

موته، فكون لنفسه فلسفة خاصة، المعروفة عنده بنوع جديد والتي يمكن ان نطلق عليها اسم "فلسفة الزهد"، اذا فلسفة لا تري قوة الانسان في سلطانه وجبروته ولكنها تري قيمته ومصيره وانه وكماشرنا سابقا لن يكون بعد الموت إلا كوزا يشرب فيه الماء اما يشبه ذلك، فهي واضحة اذا هذا ما نستخلصه من قوله في كتاب سراج الملوك: (1)"أليس في هذا ما أذهل العقول وطيش العلوم ومنع اللذات، أليس في هذا ما صغر الدنيا وما فيها، أليس في هذا ما زهد في اللذات و سلى عن الشهوات"، فإلتزم الطرطوشي بعدما غادر العراق في ما يقبل من أيامه حياة الزهد و البعد عن الدنياو ملذاتها، سيلتزم الزهد ليس للعبادة أكثر منه تفلسفا (2)

5-السياسية:

لقد اجمع الفقهاء على ضرورة وجود سلطة سياسية عليا في الدولة الإسلامية تسوس الناس بأحكام الدين ، تقضي بين المتنازعين، تدافع عن مقومات الأمة وعن عوائدها المادية الطرطوشي في هذا لاختلف عن اقرأنه من أهل الفقه ، غير أن ما إمتازة عن غيره من السابقين و اللاحقين تقسيم الحكم إلي العام والخاص،محاولته وضع نظرية في علم الاجتماع السياسي المبسوطة في كتاب المقدمة ،ورغم كثير من كتبوا في الأحكام السلطانية السياسية، الشرعية غير أنهم لم يلمسوا ما لمسها الطرطوشي ونص عليه، فقد صنف "بن قتيبة الدينوري" المتوفى سنة 236 هجري كتابه بعنوان "عيون الاخبار" وألف الماوردي المتوفى سنة 450هجري كتابه "الأحكام السلطانية" كما كتب "ابي حامد الغزالي" المتوفى سنة 505هجري كتابه

(1)- جمال الدين الشيبان، المرجع السابق، ص27

(2)- علي أدهم، المرجع السابق، ص111

الرائق "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" وكتب بعد الطرطوشي في حكم وأسالي
آخرون كابن تيميه صاحب " السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية " وكتاب
المقدمة لابن خلدون لذلك كانت مؤلفات الطرطوشي أهمية وسط العلماء سواء الملمين
او غيرهم ولعل ابرزها في مجال السياسة ما تعلق بكتابه الشهير "سراج الملوك " حيث
يقول : "امبعد فإني لما نظرت في سير الأمم الماضية ، الملوك الخالية وما وضعوه من
السياسات في تدبير الدول ومالتزموه من القوانين في حفظ النحل وجدت تلك علي
نزعين : احكام وسياسات، فالاول يقصد به الحلال والحرام والانكحة والاجراءات
وغيرها والثاني تنصب على حسن السياسة والعدل وتدبير الحروب وتأمين السبل
وحفظ الاموال وصون الاعراض"(1) ويمكن تلخيص أفكار الطرطوشي السياسية على
شكل العناصر الآتية:

أ-وجوب نصب الاحكام :

يرى المفكر العلامة ابو بكر الطرطوشي انطلاقا من النصوص الشرعية ان اقامة السلطان
في الارض هو حكمة إلهية و ارادة ربانية ،فهومنة عظيمة ونعمة جزيلة تصان بها العهود
وتحفظ بها الوعود وتقشى بها النازعات والله يزع بالسلطان مالا يزع بالقران وزكى
الطرطوشي رايه بالادلة السريعة والعقلية لفهم ضرورة اقامة الحكم فقال في كتابه "سراج
الملوك "والله جبل الخلق على حب الانتصاف وعدم الانصاف مثلهم بالسلطان مثل الماء
يبتلع

(1)- أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، المرجع السابق، ص50

الكبير والصغير فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لم امر ولم يستقم لهم معاش.
"(1)، قل إن الطرطوشي جعل الحاكم ممن اصطفاهم الله واختارهم واقامهم علامة

ظاهرة على وجوده سبحانه وتعالى حيث قال: "فالسلطان من حجج الله على وجوده سبحانه ومن علاماته على توحيده لانه كما لا يستقيم امر العالم واعتداله بغير مدير ينفرد بتدبيره ،كذلك لا يتوهم وجوده وترتيبه الا بسلطان "(2)

وألح الطرطوشي على وجود نصب الإمام شأنه في ذلك شأن سائر فرق الإسلام ومتكلميهم، وساق على ذلك الأدلة والشواهد ووصم بالجهل والغرور من يدعو الى إزالة السلطان من الناس ونص على إن صلاح البلاد والعباد بصلاحه والعكس صحيح.(3)

ب-العدل أساس الملك :

يؤكد الطرطوشي على هذا المعنى في غير باب واحد من ابواب كتابه السالف الذكر ، ولا يسام من ترديد ذلك على مسامع الحكام ، وقد اثبت أن لا سلطان إلا بجند ولا جند إلا بمال ولا مال إلا بجباية ولا جباية إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل، فصار العدل أساسا لسائر الامور والعدل عند الطرطوشي مدفعة لكل ضرر ومجلبة لكل خير وغيابه يعني تثبيت الفساد دنيا الناس فبالتنقاضي يدفع الظلم وهضم الحقوق وينعم الناس بالحرية والأمن، وقد قسم الطرطوشي الدولة إلى قسمين جعل قوامها وأرواحها العدل وان تفاوت مقداره ومقياسه، دولة نبوية وأخرى إصلاحية، فالدولة ذات نظام نبوي ينبغي ان تتبع السبيل العدل الإلهي، وقد

(1)- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص378

(2)- أبو بكر الطرطوشي، الدعاء المأثور، المصدر السابق، ص105

(3)- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص30

عرف الناس نظيرا لها أيام الدولة النبوية في المدينة، ودولة ذات نظام صحي وتشرط المؤلف فيها وفي القائمين عليها تطبيق ما يشبه العدل الذي في تناول الناس من اهل الحكم والحلم الذين يشعرون الضوابط والقوانين وفقد اجتهادهم ويحرصون على تطبيقها

وعدم مجاوزتها⁽¹⁾، ويثبت الطرطوشي نظرية ذكرها كثيرون قبله وبعده من اهل العلم وهي أن السلطان يدوم بالعدل لا بالأيمان وذلك أن السلطان الكافر الحافظ لشرائط السياسة الإصلاحية أبقى واقوي من سلطان مؤمن العدل في نفسه بسبب إيمانه، المضيع للسياسة النبوية العدلية، كما نقرا ايضا ان العدل هو ميزان الله في الأرض وهو قوام الملك ودوام الدولة وأساس كل مملكة سواء كانت نبوية أو إصلاحية⁽²⁾

ج- الطاعة و النصيحة :

إن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم تنقطع مطلقا في دولة الإسلام منذ إقامتها في يثرب إلى يومنا هذا رغم فساد الحكم وزوال سمة النبوة، وقد ألح الطرطوشي على الحاكم إطلاق يده لرعيته في النصح له والتعبير يختلج أنفسهم وما يحول فيها متماثل الطاعة له في المعروف حتى يسكن الناس وتستقر أحوال معاشهم وأمره بالقرب إلى الرعية وتقبل اعتراضاتهم والسماح لهم بمراجعة أمور الحكم والسلطنة بما يخدم مصالح الجميع حاكما ومحكومين، كما يحمل الشيخ الطرطوشي على نظرة الخروج على الحاكم والقائمين بها ويعتبرهم من أتباع الحروري والخوارج و قتلهم الأمة ويدعوا إلى الطاعة وإلى الصبر على هذا الحكام وظلمهم ويتشهد لذلك

(1)- صلاح جرار، المرجع السابق، ص 27

(2)- ابو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، المصدر السابق، ص52

بنصوص كثير في عناد بعض العلماء على السنة القائمين بالصبر الخائفين على بيضة الإسلام عكس القائمين من الأئمة في وجه الطغاة والظلمة ويسوق الشواهد على المعارضة والشفوية ويمثل ببعض رموزها فيذكر أن أعربيا قام بين يدي سليمان ابن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله إن كرهته فان وراءه ما يحب أن يقتله فقال : هات يا أعربي قال : إني سأطلق لساني بما خلصت به الألسن

بحق الله وحق أمانتك انك قد اكتتفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم فباعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا يصلح دينهم بفساد آخرتك فأعظم الناس عيباً يوم القيامة من باع آخرته بدنياه غير⁽¹⁾.

المبحث الثالث: تأثير الإمام الطرطوشي في حياة المصريين

لقد كان للطرطوشي دوراً بارزاً في الحياة العلمية بشكل عام وفي مدينة القدس بشكل خاص وكان له تلاميذ يتلقون عنه، و يجتمعون حوله في أماكن متعددة في المدينة، منها موضع يقال له "الغوير" يقع بين باب الأسباط ومحراب زكرياء في ساحة الحرم القدسي الشريف حيث كان العلماء يتناظرون فيه، كما كان يجلس للعلم أيضاً في موضع آخر يقال له السكينة، وقد زودنا "إبن العربي" في رحلته إلى بلاد المشرق بمعلومات قيمة جداً عن الدور العلمي للطرطوشي، وما يثير الإهتمام هو لقاء هذين العالمين من بلاد الأندلس في القدس، ومن خلال وصف "إبن العربي" الذي قال فيه: "مشيت إلى شيخنا أبي بكر الفهري

(1)- أبو بكر الطرطوشي، المرجع السابق، ص56

-رحمه الله- وكان ملتزماً في المسجد الأقصى في موضع يقال له الغوير فلم نلقه بها و إقتصنا أثره إلى موضع يقال له "السكينة" فلقيناه بها فشاهدت هديه، وسمعت كلامه⁽¹⁾، كان الطرطوشي نموذج فريد من الأئمة الصوفيين، كان شمعة مضيئة في ليل حالك السواد، لكنه بإشراق قلبه وصدق لسانه أدى ما عليه من واجب نحو دينه و المسلمين، فعلى صيته وهزت كلماته قلوب الناس، ورجته الملوك و السلاطين وهابوه، إستقر هذا العالم الجليل بالإسكندرية وأثر على أهل المشرق ومصر عامة وأهل الإسكندرية بصفة خاصة فقال: "وجدت في الإسكندرية قوما ضاللاً فكنت سبب

هدايتهم"، إستقر الإمام الطرطوشي منذ عام 448 للهجرة بالإسكندرية بداية عهد الوزير الفاطمي "الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي" ويصف المؤرخون الإسكندرية عند قدوم الطرطوشي أنه وجدها معطلة دينيا ما أقيمت بها صلاة الجمعة بالمسجد منذ فترة طويلة، إختار الإمام العالم وهاج وعرف الناس بوجوده فتجمعوا حوله للدرس و الصلاة حتى أن الإسكندرية بدأت تعود إلى مكانتها وفتحت المدارس على يده، وصارت الإسكندرية بوجود الطرطوشي بها مدرسة الدين في مصر⁽²⁾ ، كما تميز الطرطوشي بميزات عدة جعلته مصلحا إجتماعيا و ذلك لدقة ملاحظته و أسلوبه الجدلي وقدرة فائقة على الإتصال الجماهيري و إنه كان يربط ما يراه بأصول الدين وتبيين ما بينها من هذه الممارسات مع العقائد و التعاليم الدينية ومن هنا كان أسلوبه في الإصلاح ورد الأشياء إلى أصولها أسلوبا جدليا قائما على المناقشة والإقناع، ولم يكتف الطرطوشي بالدعوة للإصلاح بطريقة نظرية، بل

(1)- صلاح جرار، المرجع السابق، ص25

(2)- أحمد أبو كف، المرجع السابق، ص147

مارس الإصلاح علميا، وأخبار سيرته تؤكد ذلك، وقد قال مقولته الشهيرة: "إذا عُرض لك أمر الدنيا والآخرة فبادر بأمر الآخرة يحصل لك أمر الدنيا والآخرة"، وكان الطرطوشي يحث السلاطين على إنشاء المدارس و دور العلم مثل ما كان يحث سلاطين مصر في زمنه على إنشاء المكتبات مثل مكتبة "دار الحكمة الجديدة" بالقاهرة مما يحسب للطرطوشي على أهل مصر هو عندما ودّع رفيقه مرة من الإسكندرية و أرسل السلام إلى والده بالمغرب و قال: "هذه بلاد مصر لا يحل لي أن أخرج منها لما غلب فيها من الجهل"، وجعل —رحمه الله— يقعد على دكان بيّاع فيعلمه ما يحتاج إليه في عقيدته، فرائض وضوئه سنته، وفضائله فإذا فرغ منه يقول له: "علم جارك ثم يشتغل إلى دكان آخر"⁽²⁾ وضع

الطرطوشي عددا من المؤلفات تنزع في مجملها إلى الإصلاح، وقد ضاع بعضها بمرور الزمن، ويتضح من أسماء مؤلفاته أن ها لم تكن موجهة للعامة دون الخاصة بل لابد أن الإصلاح يشمل الراعي و الرعية على حد سواء فنلاحظ أن كتابه "الحوادث والبدع" وكتاب "بر الوالدين" ينزعان إلى إصلاح العامة بينما ينزع كتابه "سراج الملوك" إلى إصلاح الخاصة (الملوك والرؤساء)⁽¹⁾

و مما نؤكد فيه أن تأثير الطرطوشي في العامة بشكل شامل وفي أصحاب المناصب بشكل خاص هو ما سنتطرق له على سبيل المثال لا الحصر، فقد تفرغ العالم الجليل للعلم والتعليم وتكاثر طلابه، وأقبلوا على دروسه وأحبوه، وإصطنع لهم طريقة جديدة هي أقرب شيء لطرق التربية الحديثة، فلم يقصر إجتماعاته معهم على حلقات الدرس ثم ينفضون من حوله، بل كان يصطحبهم ويخرج معهم في معظم الأحيان في

(1)- صلاح جرار، المرجع السابق، ص27

(2)- نفسه، ص29

رحلات خارج المدينة، لكن هذا الإقبال الكبير من الطلبة على الإمام الطرطوشي جر عليه الوبال فقد ضاق به قاضي الإسكندرية "ابن حديد" ضيقاً شديداً و للطرطوشي مع "ابن حديد" قصة طويلة، فقد كانت لمكانة "ابن حديد" – يكفي أن نقول أنه قاضي الإسكندرية - ، كان ينتظر من الطرطوشي عند نزوله الإسكندرية أن يسعى إليه وأن يمدحه كما جرت عادة الشعراء، ولو أنه فعل هذا لأغدق "ابن حديد" عليه العطاء، لكن الطرطوشي كان رجلاً يعتد برجولته ولا يحبذ ذلك النوع من الحياة المترفة التي كان يحياها "ابن حديد"، وهذا ما جعل أغلب الظن أنه يطلق لسانه ليتحدث إلى الناس بهذه المآخذ المالية ويعيد الحديث ويكرره في عنف و قسوة و هذا ما ألم "ابن حديد"⁽¹⁾، و لعل إنتشار شهرة الطرطوشي والحديث بين الناس في الإسكندرية عنه، وفتاوي الطرطوشي و لهج الناس بنقد الطرطوشي لتصرفات "ابن حديد"، تناقلوا هذا النقد فيما

بينهم مما أساء إلى سمعة القاضي، ولهذا جمع "ابن حديد" هذه المآخذ كلها، ورفعها إلى الوزير "الأفضل شاهنشاه" وبيّن له خطورة هذا الرجل على الإسكندرية و أهله وهذا من جملة ما رفعه عنه القاضي "ابن حديد" إلى العبيديين – نقصد بذلك الخليفة الفاطمي – ووشى به إليه بأمر غيرها، و كان الطرطوشي يذكر "ابن حديد" ذكرا قبيحا، لما كانوا عليه من أخذ المسكوكات و المعونة على المظالم، كما أفتى الطرطوشي بتحريم الجبن الذي يأتي به النصارى، و يفتي بقطع محرمات كثيرة، فخاطب بذلك "ابن حديد" فذكره للسلطان "شاهنشاه"⁽²⁾ لقد كان "الأفضل" يدرك خطورة هذا التقرير الذي رفعه القاضي "ابن حديد" إليه بشأن الطرطوشي يطلبه من الإسكندرية - فالطرطوشي ليس بغريب عليه فهو يعرفه

(1)- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص279

(2)- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص55

معرفة أكيدة، فأرسل إلى الطرطوشي يطلبه من الإسكندرية، وفي القاهرة قابل الطرطوشي الأفضل مقابلة طيبة، فحدد الأفضل مكان إقامة الطرطوشي بالفسطاط ومنع الناس من الإتصال به و الأخذ عنه، و يبدوا أن الطرطوشي قضى مدة طويلة في اعتقاله بلغت شهورا فضجر من التضييق على حريته، وإشتد كرهه للأفضل، فاعتكف الشيخ و يصلي ويتعبّد و يبتهل إلى الله، فلما كان اليوم الثالث قتل الأفضل ومن الثابت أنّ الأفضل قتل في اليوم السابق لعيد الفطر من سنة 515 للهجرة و قد قال الكثير من العلماء قولاً حسناً في أبي بكر الطرطوشي و قد أثنوا عليه كلاماً حميداً فنجد "شمس الدين الذهبي" مثلاً قد قال فيه: "هو العلامة القدوة الزاهد شيخ المالكية، وعالم الإسكندرية"⁽¹⁾

وقال فيه "ابن بشكوال": "كان إماماً، زاهداً، عالماً، ورعاً، دياً متواضعاً متقشفاً،

متقللا من الدنيا، راضيا باليسير" (2)

ويقول فيه "المقري" في "أزهار الرياض في أخبار عياض": "الشيخ الأستاذ

الطائر، الصيت، الشهير الذكر" (3)

أما عن تلميذه "إبراهيم ابن المهدي" فإنه يقول عن أستاذه: "كان شيخنا أبو بكر

الطرطوشي زهده و عبادته أكثر من علمه" (4)

(1)- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ص 57

(2)- أبو القاسم خلف ابن بشكوال، الصلة، ج 2، تح: شريف أبو العلاء، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط 2008، ص 1296 صفحة، ص 445

(3)- نفسه، ص 460

(4)- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ص 492

نقد الطرطوشي لكتاب إحياء علوم الدين:

ترجمة للشيخ "أبي حامد الغزالي":

حظي الشيخ "أبو حامد الغزالي" مع عديد قليل من العلماء - رحمهم الله - بالصيت الذائع و الشهرة الواسعة و العناية بتراجمهم و علومهم و مؤلفاتهم قديما و حديثا، وبهذا لا يبد من الإشارة إلى شيء مما يعرف به أبو حامد الغزالي إذا هو شيخ، المتوقد الذكاء، أبو حامد محمد الطوسي الغزالي، و الغزالي نسبة إلى صنعة الغزل ، الملقب بحجة الإسلام، ولد ب "طوس" سنة 450 للهجرة توفي بها سنة 505 للهجرة وعمره 55 سنة، درس على يد أهم وأشهر العلماء و هو أو "المعالى الجويني" و أخذ عنه المذهب الأشعري، و قد تأثر به كثيرا تولي التدريس بأشهر مدار س عصره وهي المدرسة النظامية حيث نشر الأشعرية، له تصانيف مشهورة في الفقه منها "الوجيز في الأصول"، "المستصفي"، وفي عقيدة الشاعرة له "الإقتصاد في الاعتقاد"، و في الرد على الباطنية له "الفضائح" و في الزهد والسلوك أجود ما كتبه كتاب "علوم الدين" (1)

أما عن نقد العلماء و الفقهاء لكتاب "الإحياء، - رغم كونه يحمل في طياته فوائد

كثيرة و لكن فيه مواد مذمومة و أخرى فاسدة من كلام الفلاسفة، تتعلق بالتوحيد و النبوة

و المعاد- فقد أنكر أئمة الدين على "أبي حامد الغزالي" أمرضه كتاب "الشفاء" ل"ابن سينا" في الفلسفة، كما يحمل كتاب الإحياء أحاديث و ضعيفة بل موضوعة كثيرة و فيه أشياء من أغاليط الصوفية و ترهاتهم و فيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب و السنة ومن غير ذلك من العبادات

(1)- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ص346

و الأدب ما هو مرافق للكتاب و السنة، ما هو أكثر مما يرد منهم، فلهذا إختلف فيه إجتهد الناس وتنازعوا فيه (1)

وقد قال شيخ الإسلام "ابن تيمية" في هذا الصدد: ".....، و كلامه في الإحياء غالبه جيد، لكن فيه مواد فاسدة : مادة منطقية، و مادة كلامية، و مادة من ترهات الصوفية، ومادة من الأحاديث الموضوعية"(2)

الطرطوشي و كتاب "الإحياء":

ومما سبق كان من المنطقي أن يتعرض العلماء لنقد كتاب "إحياء علوم الدين" حيث كانت له قيمة معتبرة لدى محبي الشيع الغزالي لا سيم الصوفية و الأشعرية و لعل أبرز من نقد الإمام الغزالي نجد الشيخ أبو بكر الطرطوشي الذي وقع منه الإنكار على أبي حامد الغزالي في كتاب الإحياء - خصوصا - و الذي قال فيه: " هو لعمر الله أشبه بإماتة علوم الدين"، وقد روى "الذهبي عن الطرطوشي في رسالته إلى "المظفر" أنه قال عنه: " أما أبو حامد فقد رأيت و كلمته، فرأيت جليلا من أهل العلم فاجتمع فيه العقل و الفهم، ثم بدلى له البعد عن طريق العلماء و دخل في غمار العمل، ثم تصوف و

هجر العلوم و أهلها ودخل في علوم الخواطر و أرباب القلوب و وساوس الشيطان، ثم شابها بأراء الفلاسفة و رموز الحلاج وجعل يطعن في الفقهاء و التكلمين، و قد كان ينسلخ من الدين"(3)

(1)- علي بن عبد العزيز، الرد على المخالف عقديا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 139 صفحة، ص26

(2)- أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، ج4، تح: عبد الرحمن بن محمد، مطبعة الملك فهد، السعودية، 580 صفحة، ص55

(3)- عبد الوهاب السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج6، تح: محمود محمد، دار هجر للطباعة و النشر، ط2، 371 صفحة، ص243

و العجب أن الطرطوشي إنتقد هجر الغزالي للتليم في المدرسة النظامية دون أن يشير إلى أنه قد عاد إليها بعد ذلك متجاهلا السبب الذي من أجله ترك التعليم و الوظيفة إلى حين، بل الأعجب أن الطرطوشي ينتقد الغزالي بهذه العموميات دون دليل، و لم ينتقده للعيوب الكبرى التس كان يعاني منها ايام تدريسه في المدرسة النظامية و إقباله على مجد الأستاذية و التعليم، من التباهي على الآخرين بعلومه واستخفافه بهم وقصده من أعمال التأليف و التدريس بلوغ المجد الدنيوي و منافسة الأقارب، كل هذا يبقى وجهة نظر الدكتور "محمد سعيد رمضان البوطي"، لكن سوف نتطرق بالتفصيل لماذا نقد الشيخ أبو بكر الطرطوشي كتاب "إحياء علوم الدين"(1)

روى "ابن علان" عن "الخشوعي" عن الشيخ أبو بكر الطرطوشي أنه كتب هذه الرسالة جوابا عن سائل سألته من الأندلس عن حقيقة أمر مؤلف كتاب الإحياء فكتب إلى "عبد الله بن المظفر" يقول: "سلام عليكم فإني رأيت أبا حامد و كلمته ، فوجدته إمرا وافر الفهم و العقل ، و ممارسة للعلوم، و كان ذلك معظم زمانه، ثم خالف عن طريق العلماء و دخل في غمار العمّال ثم تصوف فهجر العلوم وأهلها ودخل في علوم الخواطر و أرباب القلوب و وساوس الشيطان ثم سابها و جعل يطعن على الفقهاء بمذاهب الفلاسفة و رموز الحلاج، و جعل ينتحيين الفقهاء و المتكلمين، ولقد كتن ينسلخ من الدين، فلما عمل كتابه "الإحياء" عمدتكم في علوم الأحوال و مزامر الصوفية و

كان غير أنيس بها و لاخبير بمعرفتها وسقط على أم رأسه"(2)

(1)- محمد سعيد رمضان البوطي، شخصيات استوفقتني، دار الفكر، دمشق، ط1، 1999، 246 صفحة، ص110

(2)- أبو بكر الطرطوشي، الحوادث و البدع، المصدر السابق، ص17

كما أضاف الطرطوشي أن أبي حامد الغزالي قد شحن كتابه هذا بالكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ففي نظر الطرطوشي أنه لا يوجد على وجه الأرض كتابا أكثر كذبا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من هذا الكتاب ثم أحاطه بمذاهب الفلاسفة معاني رسائل "إخوان الصفا"، و ما مثل من نصر الإسلام بمذاهب الفلاسفة و الآراء المنطقية إلا كمن يغسل الثوب بالبول (1)

المبحث الرابع: علاقة الإمام الطرطوشي برجال السلطة

1-علاقة الطرطوشي بالأفضل شاهنشاه:

بعدما الطرطوشي زيارة القاهرة و قد إستتب له الامر بالإسكندرية فالتقى بالملك الفاطمي "شاهنشاه"، وكان من دواعي زيارة الطرطوشي للقاهرة هو ما سمعه عن جبروت و قوة السلطان الأفضل وذلك قصد نصحه و موعضته و طلبا منه الرفق بالرعية، فلم يكن الطرطوشي يطمع بالمال ولاشيء من أمو الدنيا، فلم يكن يخشى في الله لومة لائم و قد ثبت نصح الطرطوشي للأفضل في كتابه "سراج الملوك"(3) والنص هو كالآتي:

"فلما دخلت مصر على أهلها وهو أنا ذاك الأفضل بن أمير الجيوش،فقلت: سلام عليكم و رحمة الله و بركاته، فرد السلام على نحو ما سلّمت ردا جميلا فقام فأكرم إكراما جزيلا، و أمرني بدخول مجلسه وأمرني بالجلوس فيه فقلت: أيها الملك، إن الله سبحانه و تعالى، قد أحلك محلا عاليا شامخا، و أنزلك منزلا شريفا

(1)- أبو بكر الطرطوشي، الحوادث و البدع، المصدر السابق، ص18

(2)- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص48

بإذخا، وملكك طائفة من ملكه، و أشركك في حكمه، و لم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك، فلا ترض أن يكون أحدا أولى بالشكر منك و أن الله تعالى ألزم الوريثا، فلا يكونن أحد أطوع الله منك، إن الله أمر عباده بالشكر و ليس الشكر باللسان ، و لكنه بالفعل و الإحسان و أعلم أن هذا الملك الذي أصبحت فيه إنما صار إليك بموت من كان قبلك، و هو خارج عن يدك مثلما صار إليك، فاتق الله في من حولك من هذه الأمة، فإن الله سائلك عن النقيير و القطمير، و الفتيل، و أعلم أيها الملك أن الله تعالى قد أتى ملك الدنيا بحذافيرها "سليمان بن داود"-عليهما السلام-، و سخر له الإنس و الجن و الوحوش و البهائم، و سخر له الريح تجري بأمره، رخاء حيث أصاب، ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع، فوالله ما عاها لغمة كما عدتموها و لا حسبها كرامة، كما حسبتموها، بل خاف أن تكون غستدراجا من الله تعالى و كرا به، ففتح الباب و سهل الحجاب، و أنصر المظلوم، أعانك الله على ما قلذك و جعلك كهفا للملهم و أمننا للخائف"(1)

مما يفهم منه أن زيارته هذه للأفضل كانت بعد إقامته بالأسكندرية لمدة طويلة، و بعد أن تزوج بها وأنجب، و قد ختم حديثه أخيرا بهذا البيت من الشعر:

و الناس أكيس من أن يحمدا رجلا حتى يروا عنه آثار إحسان

وبهذه الكلمات الموزونة خاطب الطرطوشي الملك الفاطمي ذا الجاه و السلطان، و هو في أوج عطائه و الكل له خدم وحشم، و لكن العجيب في الأمر أن الطرطوشي لم يرد لنا كيف تقبل الأفضل هـ_____ ذا

(1)- أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، المصدر السابق، ص183

الحديث و لكن من المحتمل جدا أنه هز كيانه، و أنه استنكره في ما بينه و بين نفسه، وإن كان قد تظاهر الملك الأفضل بقبول هذا الكلام قبولاً حسناً، فإن الرجل المستبد يأنف عادة من النقد و تشهره آيات المدح، لكن هذا لا يعني أن الملك الفاطمي كان راضياً على ما قدمه الطرطوشي له وما وجهه له من نصائح فقد قام هذا الملك باستدعاء الطرطوشي - و هو لم ينس كيف ثارت الإسكندرية قبل هذا- فحتى وإن واصل الطرطوشي سياسته التي قد تزعج الملك الأفضل لكن هذا الأخير لا يحبذ شيء من الشغب في هذه المدينة، فقد نقد الطرطوشي المجتمع، و الحاكم، والقضاة، وأحكامهم، ونظم المالية التابعة، فقد يسبب الطرطوشي متاعب كثيرة للدولة وهذا ما يقلل من هيبتها في أعين الشعب، لكن الأفضل كان يدرك خطورة ذلك التقرير الذي رفعه القاضي "ابن حديد" بشأن الطرطوشي - ذكرناه سالفاً - فالطرطوشي ليس غريباً عليه، فهو يعرفه معرفة أكيدة وهو يذكر موعظته الجريئة، وما تضمنته من كلام قاس لاذع، ومن الجرأة النادرة في قول الحق، لذلك أراد أن يحسم الشر قبل وقوعه، فأرسل إلى ولي الإسكندرية بأمر إرسال الطرطوشي إليه⁽¹⁾

عاد الطرطوشي إلى الإسكندرية بعد ما أدى النصيح للولاة و برهن على واجبات العلماء الربانيين وتفرغ للعلم و التعليم، و قد زادت شهرته بين الناس و ازداد معه عدد الطلبة و التلاميذ فقد أحدث الشيخ نهضة علمية كبيرة بالبلد، فاهتم الناس بالقرآن و السنة، فكان للطرطوشي فتاوى كثيرة تعارض النظم و القواعد التي يسير عليها ولاة الدولة، و كان الطرطوشي دائم الانتقاد لسياسة بني حديد، و لقد ألقا رسالة مهمة في نقد أوضاع و عادات المجتمع وقتها لا سماها "بدع الأمور و محدثاتها"، ثم أفت بحرمة الجبن الذي

(1)- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص56

يستورد من الروم التي كانت تجارتها راجحة، وتدر دخلا كبيرا على خزينة بني حديد و نظامه، ومن هذا فقال الطرطوشي: "و أي حوائج مع؟ ريشة الكتابة، و طعامي من حوصلتي"، وهذا إذا دل على شيء فإنما يدل عللا زهد الطرطوشي و رقة حاله و استعداده لتقبل النوازل و المحن، و صل الطرطوشي إلى القاهرة وهنا أمره الوزير بالبقاء في الفسطاط و حدد إقامته في مسجد "الرصد" جنوبي الفسطاط (القاهرة القديمة) وضيق عليه بشدة، و جعل رزقه الشهري ببضعة دنانير بلأخذا من متحصل اليهود، إمعانا في التضيق عليه و كان ذلك حوالي 514 للهجرة ليظل بذلك الطرطوشي رهن الإقامة الجبرية في مسجد "الرصد"، شهورا طويلة، فلم يتجرأ أحد على زيارته أو الاجتماع معه و قد تحول المسجد إلى معتقل كبير للإمام، حتى أن الناس قد هجروا الصلاة في المسجد، خوفا من أن يتهموا بالإتصال بالشيخ و تطاولت الأيام على الطرطوشي و هو وحده في المسجد وليس معه إلا خادمه، و كان أشد شيء على الإمام من التدريس والتعليم و الإجتماع مع تلاميذه و طلبته، وضافت نفسه بشدة من هذه المحنة (1)، و بعدما طال الحبس والمنع بالطرطوشي قرر الإمام الصالح الخروج من هذا الحبس الطويل، و ذلك بمساعدة رب السموات والأرض، فترك الأكل من الطعام الذي يأتيه من رزق الوزير الطاغية، فأمر خادمه بجمع المباح من الأرض وتقوت به، و ظل صائما قائما و يفطر على ما يأتيه من المباح من الأرض و في يوم من أيام شهر رمضان سنة 515 للهجرة، و ساعة الغروب قال الطرطوشي لخادمه: "لقد رميته الساعة" فلما كان من الغد ركب الوزير الطاغية في موكبه، فهجم عليه مجموعة من الفرسان فقتلوه، فعد ذلك كرامة هائلة للإمام الطرطوشي تدل على قدره و مكانته.(2)

(1)- أحمد أبو كف، المرجع السابق، ص149

(2)- صلاح جرار، المرجع السابق، ص29

2- علاقة الطرطوشي بالمأمون البطاحي:

تولى بعد ذلك الوزارة بعد "الأفضل"، الوزير "المأمون البطائحي" و كان يجلس الشيخ الطرطوشي ويعرف المحنة التي وقعت له مع الأفضل فأخرجه من السجن و أكرمه، فطلب الطرطوشي من الوزير الجديد أن يأذن له بالعودة إلى الإسكندرية، فأذن له، فلما عاد جعل شغله شاغل في تأليف كتاب في فن السياسة و الحكم و أصول العدل و الرفق بالرعية حتى يقدمه كدليل و مرشد للوزير الجديد حتى لا تأخذه غرة الحكم و أبهة السلطان فيسير على نهج سلفه و كان هذا الكتاب هو أمتع هذه الكتب و أجودها و هو كتاب "سراج الملوك" و إنما جاء من قلم الإمامو عالم سبكتة المحن، و إمتحنته البلبا و الفتن، و لكنه خرج منها إماما كبيرا و مربيا رائدا و عالما ربانيا يندر وجوده في أيامنا هذه (1)

بعءما أتم الطرطوشي كتابه "سراج الملوك" و في شوال من سنة 516 للهجرة حمل الكتاب و سار إلى القاهرة ليقدمه للوزير الجديد "المأمون البطائحي" و ليعيد الحديث معه في الأوضاع السقيمة القائمة في الدولة التي لا يقرها الشرع، فلم يكذ الوزير أن يسمع بوصوله – وكان بين يديه الكتاب و كبار الموظفين يعرضون شؤون الحكم – حتى أمر في الحال برفع الدفاتر و فض المجلس و أمر بمد السماط و غستدعى الفقيه لمقابلته، فلما دخل عليه، وقف الوزير و نزل من مرتبته و جلس بين يدي الطرطوشي و ما كان يحسه الوزير من تبجيل نحوه و إحترام فلم تكن من عادة الوزير في العصر الفاطمي أن يقوم لتحية القادم عليه مهما كانت مكانته و لكن المأمون لم يقنع بالوقوف لتحية الطرطوشي فقط بل ترك مرتبته فنزل فجلس بين

(1)- صلاح جرار، المرجع السابق، ص30

يديه كما يجلس التلميذ بين يدي الأستاذ، وبعد المقابلة أمر بإنزاله في مكان خاص أعدد له، و أمر أن يرتب له خمسة دنانير في اليوم، و لكن الطرطوشي رفضها و طلب أن يصرف له دنارين فقط، و هو المبلغ الذي كان يُصرف له أيام الأفضل، ليصبح "

المأمون " يستدعي الطرطوشي لمجلسه الخاص الذي يعقده يومي راحته من كل أسبوع فيستمع إلى شكاواه و يجيب شفاعته، و قد حضر الطرطوشي لمقابلة الوزير ليقدّم له كتاب " سراج الملوك " الذي ألفه بإسمه و أهداه إليه و ليعرض عليه تلك الأمور الظالمة المنافية للشرع التي سبق و أن تحدثنا عنها و ذلك في زمن "الأفضل"، فلم يستمع إليه، فالأمور تلك كانت تتلخص في النظم الوضعية التي كانت متبعة، و كان يرى الطرطوشي فيها مخالفة للشرع، و قد تناقش الطرطوشي طويلا مع المأمون في هذه الموضوعات و إعتذر المأمون بأن هذه الأمور تتصل بصميم المذهب الشيعي الإسماعيلي – مذهب الدولة الرسمي – لكن بعد نقاش و جدل طويل أخيرا يوافق المأمون على حل وسطي يرضي الطرطوشي و المذهب الفاطمي⁽¹⁾

و بعد نحو شهرين من إقامة الطرطوشي بالقاهرة عزم هذه المرة على العودة إلى الإسكندرية فقصّد الوزير ليشكره و يودعه، و تقدم له بطلب أخير يتمثل في الموافقة على بناء مسجد جديد بالإسكندرية بظاهر الثغر على البحر، فرحب الوزير بطلبه و كتب في الخال إل "ابن حديد" -قاضي الإسكندرية- بأمر الإشراف على بناء المسجد في المكان الذي يتخيره الطرطوشي و أن يبالح في إتقانه و سرعة إنجازّه، و تكون النفقة عليه من مال ديوانه دون مال الدولة، فتوجه الطرطوشي فبنى المسجد المذكور على باب البحر و هذا المسجد للأسف من المساجد التي هُدمت وتلاشت معالمها فلا وجود له الآن في مدينة الإسكندرية⁽²⁾

(1)-جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص60

(2)- أحمد أبو كف، المرجع السابق، ص06

المبحث الخامس: ملحق تطبيقي (دراسة كتاب "سراج الملوك")

اسم المؤلف: هو العالم الفقيه محمد بن وليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الطرطوشي المعروف بابن أبي رندقة⁽¹⁾

عنوان الكتاب: سراج الملوك و الخلفاء ومناهج الولاية و الأمراء وتدبير الملك و الدول
مقتضب من كتاب الله تعالى العزيز وأخبار الأنبياء عليهم السلام

الطبعة: الأولى

دار النشر: الدار اللبنانية المصرية القاهرة

البلد: مصر

السنة: 1414 هـ / 1994 م

عدد صفحات الكتاب: 928 صفحة

أسباب اختيار التلخيص:

إن موضوع تلخيص كتابا ما أكيد تكون له عدة دوافع، و وراء هذه الدوافع توجد أهداف سواء كانت خفية أما ظاهرية لذلك سنحاول من خلال هذه الأسطر سرد ما يمكن سرده و ما يتعلق بسبب اختيارنا

(1)- أحمد الضبي، المصدر السابق، ص175

يديه كما يجلس التلميذ بين يدي الأستاذ، وبعد المقابلة أمر أبو بكر الطرطوشي، فيمكن تلخيص الدوافع التي جعلتنا نحاول نتطرق لهذا الكتاب على الشكل التالي:

- 1- مدى علاقة الكتاب بموضوع المذكرة ومدى اعتمادنا عليه في إثراء موضوع المذكرة لاحتوائه على معلومات قيمة تخصصنا في البحث.
- 2- إلى جانب هذا فالكتاب لم نجد -من خلال مطالعتنا- من قام بتلخيصه أو التفصيل فيه بشكل دقيق عدى الكاتب "جمال الدين الشيال".

3- محاولة الإثراء و الإضافة لمكتبة الجامعة بمعلومات حول هذا الموضوع قد لا تكون متوفرة.

4- إضافة إلى تكوين فكرة شخصية عن موضوع الكتاب حتى وان لم نكن مقيدين بها خلال البحث.

5- الحاجة الماسة لنا من خلال البحث لهذا الكتاب يعني انه إذا لم نكن مطلعين على هذا الكتاب فإنه لا يمكن أن نكون أدنى فكرة عن الموضوع أي نحن مجبرون على مطالعة الكتاب كي نستطيع تقديم الأفضل لموضوع البحث.

حياة الكاتب:

لقد سلف وأن ذكرنا بالتفصيل عن شخصية صاحب الكتاب ولكن لا بأس و إن ذكرنا بها فهو العالم الفقيه و الزاهد الورع محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفقيهي الطرطوشي المعروف

(1)- علي أدهم، المرجع السابق، ص16

بـ"ابن أبي زندقة" ولد بـثغر طرطوشة في 26 جمادى الأولى سنة 451هـ⁽¹⁾، تعلم في سرقسطة على يد القاضي أبي الوليد الباجي ثم انتقل إلى المشرق فزار مكة و حج بها ثم توجه إلى العراق ليتعلم على يد أهم مشايخ عصر، ولعل أبرزهم "الشيرازي" و" أبو بكر الشاشي" و" أبو حامد الغزلي"، ليعين في مهمة التدريس في المدرسة النظامية ليعود بعدها إلى بيت المقدس فلم يتلبث بها طويلا لكن سرعان ما اتجه إلى الإسكندرية ليتعلم بها ويشرف على طلبة مصر و يغير حياتهم و لعل ابرز من تتلمذ على يده "سند بن عنان" "المهدي بن تورمت" وغيرهم وقد فصلنا في ترجمتهم قبل هذا ،دائما في الإسكندرية فقد واجه العديد من المحن كما يكون طريق كل عالم يدعو للحق فقد واجه الطرطوشي قاضي الإسكندرية "ابن حديد" و"الأفضل شاهنشاه" والي الدولة الفاطمية على مصر، وبعد ذلك

وعلى النقيض تماما فقد كانت علاقته بالوالي الذي جاء بعد الأفضل نقصد المأمون البطائحي علاقة حميمة و ألف الطرطوشي كتابا يعرض و يمدح فيه الأفضل و الكتاب هو شرحا الملوك لكن الطرطوشي وافته المنية بعد ذلك وهو في 69 من عمره أي سنة 521 للهجرة⁽¹⁾

نزعة الكاتب و أفكاره:

كان الطرطوشي يعيش معيشة زهد و ورع ، يقول الحق ولا يخش فيه لومة لائم، ولما اشرف وزير النازمين الافضل في الظلم و الطغيان، قصره في القاهرة ووعظه حتى أبكاه ،و أمّا عن افكاره فقد كان يشفي دائما كما قال "بأي الذكر الحكيم"، لكنه لم ينشر الى ما اقتبسه من الحديث النبوي و خطابة الرسول صلى الله عليه و سلم من وصايا و حكم جامعة كما كان دائما يضمن قوله تجربة أو حكمة أو قولاً مأثوراً عن كليلّة

(1)- أبو بكر الطرطوشي، الحوادث و البدع، المصدر السابق، ص06

و دمنة ، أو سياسة "عمر بن الخطاب" ومواعظ علي و سير سيدنا موسى وعيسى لا يترك سيرة "أفلاطون" أو "أرسطو" إلا إنتخب من ذلك دورا رائعة⁽¹⁾

دواعي تأليف الكتاب:

قد كان طغيان "الأفضل بن بدر الجمالي" باغتا على تأليف هذا الكتاب لوعظ الملوك و الحكام ماينبغي إن يأخذوا به أنفسهم من العدل الذي لا تصلح حالة الرعية من دولة ، فسراج الملوك هو من أهم كتب الطراطوشي جميعا و أقيمهم ، وهو واحد من الكتب القليلة التي وصلت إلينا و قد طبع أكثر مرة فاستمد الطرطوشي مادته العلمية من الكتب التاريخ و الأدب و أورد فيه من الطرائف و النوادر ما يؤيده به قضاياه في السياسة و الحكم و

الإدارة و الأخلاق ،و تدبير الممالك و التعامل مع الناس ،فيجمع الكتاب بين مكارم الأخلاق و المروءة العربية الإسلامية و السلوك المستقيم⁽²⁾

أما عن الظروف التي ألف فيها الشيخ الطرطوشي كتابه هذا، فقد كانت البلاد المصرية تعاني من سياسة فاسدة ومعاملة الجنود القاسية وفرض الأرزاق أو الرواتب و سيرة الولاة و العمال و جباية الأموال أو فيما يعتري الملك و السلطان من المضطربات أو من الظلم و موقف الرعية و سوء عاقب، إلى جانب المحنة التي كان حديث الخروج منها إذ عانى الطرطوشي من معاملة القضاة -ابن حديد- و، الولاة "الافضل بن بدر الجمالي" وقد شرحنا ذلك سابقا، إضافة إلى وجود أبو بكر الطرطوشي بصفته سني مالكي وسط نظام شيوعي اسماعيلي، حاقدا على السنة عامة والمالكية خاصة لما له من خلفية تاريخية معهم ، كما أن للطرطوشي ، أثر

(1)- أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، المصدر السابق، ص07

(2)- نفسه، ص35

بالغ جدا في حياة المصريين خاصة منها أهل الإسكندرية الذين أيده منذ كان في مدينة "رشيد"، فمكانته حتمت عليه إنتاج علمي وافر بهذا الحجم هذا من جهة و معاملة الوالي الفاطمي " مأمون البطائحي " التي نصفها بالاستثنائية جعلت للطرطوشي حافزا كبيرا كي يبدع في إيجاد نوع من العلم لم يسبقه إليه أحد من قبل الذي عرف فيما بعد باسم علم السياسة الشرعية⁽¹⁾

ثانيا المضمون :

هذا الكتاب سراج الملوك و الخلفاء ،و الولاة و الأمراء ، و تدبير الملك و الدول، مقتضي من كتاب الله تعالى العزيز و أخبار الأنبياء عليهم السلام و سياسات ملوك العرب و الروم و الفرس و الهند والسند هو صياغة نظرية سياسية ، متعلقة بمسألة السلطة و الدولة السلطانية، برسم بعض ملامحها الأساسية و الجوهرية إذ يتضمن توثيقا المرحلة

التاريخية حاسمة من مراحل تطور ذلك الفكر ، انه يقدم نموذجا فريدا من نماذج التي كشف عن العلاقة الحالية القائمة بين جود المجتمعين السياسي الفتية بين التنظيم السياسي لذلك الوجود ففي هذا الكتاب قراء مشيرة تكشف لنا عن طبيعة العاقبة الفنية بين الفكر السياسي و بين الواقع المجتمعي الذي اطر ذلك الفكر ، ونرى كيف تناول الطرطوشي هذه القضايا و كيف عاجها ؟ انه يتمثل على مسائل السياسية الشرعية ، و قضايا الحكم في الاسلام ، و فلسفة الاستماع البشري و تحديد شرائط السياسية و رسم هرم السلطة و أركان الدولة وعلاقة الراعي برعاية ، وعلاقة الدولة الإسلامية لغيرها من الامم فالطرطوشي رحمه الله من انتهاء السابقين إلى بحث وتبويب موضوعات القانون العام ، وعلى وجه الخصوص القواعد الدستورية

(1)-أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، المصدر السابق، ص303

للسلطة والسلطان ففي هذا الكتاب قواعد ملزمة ،وتحديد السلطة و ضبطها لكي تنهج تصرفاتها نهجا دستوريا مسئولا ، و انه كلما ابتعدت الدولة والرعية عن التمسك به الالتزام بتقضيته ، كانت النتيجة اختلال توازن الدولة و سقوطها(1)

هذا الكتاب فيه فكر سياسي لحكمه منطق الشرع و فكرة المقصد ، و الميزان الترجيح بين المصالح والقاصد ، و فيه رد على من التابعي قصور الإعلام عن ترتيب إسرار العلم و الرعي والرعية بما لم تصل اليه الحضارة الغربية بنظريات الخارجية بم رسم من خلال ديمقراطيتهم الكاذبة ، أقدم أنواع الظلم و اعتق أنواع اضطهاد ليختم المؤلف كتابه هذا بباب متمثل على حكم منشورة فجاء يزهو في أبهى حلة(2)

وقد وزع الطرطوشي مباحثه في كتابه إلى أربع و ستين بابا لعل أغلبها يتناول السياسة و نظام الحكم وما ينبغي للحاكم والرعية فتناول في كتابة من الموضوعات ما يعتقد أنه متفق مع العنوان الذي اختاره له و هو محاولة لفضح الملوك و إرشادهم و

توجيههم فهو بذلك يلخص لنا محتويات الكتاب في مقدمته، بأنه جمع فيه ما ينطوي عليه من سير الأمم السابقة بالأخص ملوك الطوائف و حكماء الدول و أنه وجد ذلك في ست أمم وهم العرب، والفرس، و الروم ،و الهند ،و السند، و سند الهند وأنه غير في ذلك إلى استعراض ما ألفه في الكثير من الحكم البالغ و السير المستحسنة، فلن فصل بعض الشيء ونقول إن الإمام الطرطوشي يفتح كلامه بالحديث عن الخصال التي يقوم عليها الملك و التي تؤدي إلى هدمه ، وعن الخصال المحمودة في السلطان والتي

(1)- أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، المصدر السابق، ص350

(2)- نفسه، ص358

تمكن له ملكه ، ثم التي توجب ذمه، وما يجب على الرعي إذا جنح السلطان إلى الجور ، و عن صحبة السلطان وسيرته مع الجند وكذا علاقته بالجباية و الأموال ، ثم يأتي الدور على الوزراء و صفاتهم وآدابهم ، ثم يحدثنا عن سياسة الخلافة نحو الذميين و عن أحكام أهل الذمة ، وعن الحرية و أحكامها وعن القضاة و العمال والحروب وتدبيرها ليختم بالحديث عن أخبار ملوك العجم و حكاياتهم ، تلك هي محتويات كتاب "سراج الملوك" وإنه ليبدو أن الطرطوشي يعالج في كتابه السياسة الملكية ، فيمتاز عن أسلافه بالتوسع و الإفاضة ، وانه طرق بعض الأبواب التي لم يطرقها أسلافه، فكتاب سراج الملوك في الحقيقة هو أكبر مؤلف من نوعه من حيث ضخامة مادته وتنوع موضوعاته ، ولكن الصفة الدينية تغلب على أسلوبه ، لكنه يتخذ على الأغلب صورة الوعظ ، و يتضمن الكثير من الأحاديث والحكم و الأقوال المأثورة ، وهو يورد موضوعات مستقبلية متباعدة ينقصها الربط والتنظيم ، كل هذا منهج سياسي تاريخي سرد فيه حقائق الأمم وفق نظرة سياسية خاصة به مؤسسة على النقد من أجل البناء (1).

(1)-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص295

خاتمة:

و في الأخير فقد حاولنا تحديد شخصية الإمام الطرطوشي ، لقد كان تساؤلنا في بداية الأمر عما إذا كان لمدينة طرطوشا و الإسكندرية دور في بناء شخصية الإمام السياسي الذي لقب في ما بعد بالمؤرخ السياسي، فتأكدنا من أمرين الأول هو أن طرطوشة أعطته القاعدة الصحيحة في طلب العلم و الأمر الثاني هو أن الإسكندرية و

ما تخللها من ظروف سياسية و دينية هي التي صقلت شخصية الطرطوشي السياسي فيما بعد، كما حاولنا في الفصل الأول ضبط نسب و تاريخ مولد الإمام الطرطوشي وإن لم نسجل فيه اختلافا كثيرا فقد حدده المؤرخون بحوالي 450 هـ لنقف بعد ذلك على عوامل تكوين شخصيته – نعني بذلك دور أساتذته و معلميه في تكوين شخصيته – سواء تعلق الأمر بمشايقه بالأندلس أو بالمشرق لتتعرف عن كُتب على سمو مكانته العلمية وقوة حافظته وفطنته وقدرته الفائقة على تجسيد ما تعلمه دون أن يخشى في الله لومة لائم لنتطرق بعد ذلك إلى ما تركه الطرطوشي من تلاميذ يمكن اعتبارهم نخبة من المفكرين العباقرة كان بإمكانهم تغيير المسار الحضاري للأمة ، لنختم هذا الفصل بتاريخ وفاة الطرطوشي الذي تم تحديده عند أغلب المؤرخين بيوم 26 جمادى الأولى من سنة 521 هـ ، ونعرج كذلك على أهم ما خلده الطرطوشي من عمل غزير فقد وضحنا ذلك من خلال إحصاء أعماله المفقود منها و المطبوع منها و ما لا يزال مخطوطا فنعتبرها كنزا بمجرد الإطلاع على عناوينها.

لنهتدي في الفصل الثاني لما يهمننا كثيرا في البحث و يأخذ الحصة الكبيرة منه ألا وهو الدور العلمي لأبي بكر الطرطوشي ، و قد حاولنا التفصيل فيه من خلال أثر رحلة الطرطوشي إلى المشرق بصفة عامة و إلى المدرسة النظامية بصفة خاصة ، وما مدى أثرها في تكوين رصيد علمي ديني و سياسي للطرطوشي ، حيث سُمي هذا النوع بـ "علم السياسة الشرعية" ، يستند على الشرع في تأسيس سياسة خاصة مطابقة لأحكام الشريعة، لنحاول بعد ذلك تسليط الضوء على الدور البارز للإمام الطرطوشي من خلال إنتاجه الفكري وكيف أثر ذلك في حياة المصريين وهذا ما تجسد من خلال طلبه للإقامة بالإسكندرية من طرف أهلها وعلاقته بـ "ابن حديد" الذي كان يكن له العداء له الإسكندرية إضافة إلى نقد الطرطوشي لكتاب "إحياء علوم الدين" ، لنختم هذا الفصل بعلاقة الإمام الطرطوشي برجال السلطة و التي كانت على طرفي نقيض فالوزير الأول "الأفضل" تسلط عليه و سجنه و الوزير الثاني "مأمون البطاحي" أكرمه بعد ذلك

إكراما جليلا وقدره قدرا عاليا ، فيرد عليه الطرطوشي بتأليف كتاب " سراج الملوك" كعربون محبة ، و توجيه سياسي شرعي في نفس الوقت كما فصلنا قليلا في شكل عمل تطبيقي محاولة دراسة هذا الكتاب والأفكار التي يحملها في طياته ، لنصل في الأخير إلى أنه كتاب سياسة محكمة بالشرع الإسلامي فنعتبره أول كتاب في تاريخ الدولة الإسلامية - بعد كتاب الله و سنة رسوله - يأخذ الشرع موازاة بالسياسة و هو بشكل منظم على نحو ما نراه اليوم من كتب في غاية الاحترافية .

و ما يمكن استنتاجه من هذه الرسالة هو أن الإمام الطرطوشي تكون على يد غلماء أجلاء أعطوه القاعدة الصحيحة و المتينة كما كان للظروف المحيطة به و ما تخللها من صراع حول ملوك الطوائف جعله يبني قاعدة فكرية صحيحة، فأنتج فكرا راقيا لقنه لتلامذته فيتوارثونه، ليمر بعد ذلك بما يجب على كل عالم أن يمر به و هي المحن، فيصبر في المحنة الأولى ليتوج بالثانية بمحبة الناس و الملوك و هو ما يفسر علاقته بالوزير المأمون البطائحي.

إننا وإن وُفقنا من الله في الإجابة على الإشكالية المطروحة في هذا العمل، إلا أن هذا العمل - حسب وجهة نظرنا - يبقى موضوعا جديرا بالبحث لما ينطوي علي من أسرار قد تفيد العلم و الأمة وهو ما نأمل بدراسته و توضيحه مستقبلا ، بتوفيق من العلي القدير و مشيئته.

قائمة ببليوغرافيا البحث

أولاً: المصادر:

- 1- ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر 2000م
- 2- الإدريسي الشريف ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ج 2 ، مكتبة الثقافة الدينية، 2002 م
- 3- الأموي أبو بكر محمد بن خير ، فهرست بن خير، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 1998م
- 4- بن الآبار أبو عبد الله ، التكملة، ج1، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر 1995م، بيروت، لبنان
- 5- بن بشكوال أبو القاسم خلف ، الصلة، ج2، تح: شريف أبو العلاء، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2008
- 6- بن مخلوف بن محمد ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، المكتبة السلفية المصرية، القاهرة
- 7- بن خلكان أبو العباس شمس الدين ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، ج4، تح: إحسان عباس، دار صادر للنشر، 1972م
- 8- البغدادي محمد بن عبد الغني ، التقبيد لمعرفة رواة السنن و المسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، 1408هـ

- 9- الجرجاني أبو العباس أحمد بن محمد ، كناية الأدباء و إشارة البلغاء، تح: محمود شاكر القطان، مطابع الهيئة الحضرية 1996م
- 10- الحميدي أبو عبد الله ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: محمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي للنشر، ط1، 1429هـ/2008م
- 11- المالكي ابن فرحون ، الديباج المذهب، تح: محمود بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1996م
- 12- المقرئ التلمساني أحمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1996م
- 13- النووي أبو زكرياء ، تهذيب الأسماء و اللغات، تح: محمد منير، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1413هـ -
- 14- السبكي عبد الوهاب ، طبقات الشافعية الكبرى، ج6، تح: محمود محمد، دار هجر للطباعة و النشر، ط2
- 15- الشاشي أبو بكر ، محاسن الشريعة، تح: محمد علي سمك، دار الكتب للنشر، لبنان، ط1، 2007،
- الذهبي شمس الدين:
- 16 - سير أعلام النبلاء، ج18، 17، 20، 19، تح: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة للنشر، ط1، 1405هـ/1978م
- 17- تاريخ الإسلام، ج 10، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي للنشر، ط1، 1411هـ
- 18- الضبي أحمد ، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ج1، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط1، 1410هـ/1989م
- الطرطوشي أبو بكر:
- 19- الدعاء المأثور، تح: عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ/2002م

20- الحوادث و البدع، تح: علي بن حسن بن علي، دار ابن الجوزي للطباعة و النشر، ط1، 1411هـ/م1990

21 - سراج الملوك، تح: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، ط2، 1414هـ/م1994

ثانيا:المراجع:

- أبو مصطفى كمال السيد :

1- دراسات في تاريخ حضارة المغرب و الأندلس، مركز الإسكندرية، مصر، 1996

2- محاضرات في تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلسي دارالإسكندرية للطباعة والنشر، 1996

3- أدهم علي ، بعض مؤرخي الإسلام، مكتبة نهضة ، القاهرة، مصر

4- أبو كف أحمد ، أعلام التصوف، دار التعاون للطبع و النشر، ط2، 1414هـ/م1994

5- أرسلان شكيب ، الحل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، ج3، مكتبة الحياة للنشر و الطباعة

6- البوطي سعيد رمضان ، شخصيات استوقفتني، دار الفكر، دمشق، ط1، 1999

7- بن عبد العزيز علي ، الرد على المخالف عقديا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة

8- بن تيمية أحمد ، مجموع الفتاوى، ج4، تح: عبد الرحمن بن محمد، مطبعة الملك فهد، السعودية

9- بروكلمان كارل ، تاريخ الأدب العربي، ج 05، تر: رمضان عبد الثواب، دا المعارف القاهرة، ط3،

10- مصطفى وديع واصف ، ابن حزم و موقفه من الفلسفة و المنطق و الأخلاق، المجمع الثقافي للنشر، أبو ظبي، 1421هـ/م2000

11- عنان محمد عبد الله ، تراجم إسلامية شرقية و أندلسية، مكتبة الخانجي للنشر، ط2، 1390هـ/م1970

12- الشيال جمال الدين ، أبو بكر الطرطوشي الزاهد العابد، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر

3- المجلات و الموسوعات:

1-صلاح جرار، أبو بكر الطرطوشي و جهوده في الإصلاح الاجتماعي، مجلة آفاق الثقافة و التراث، العدد2، 1414هـ/1993م

2- محمد مجي، موسوعة أعلام المغرب، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1996م

الفهرست

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
/	الشكر
/	الإهداء
01	مقدمة

07	مدخل
16	<u>الفصل الأول: ترجمة لأبي بكر الطرطوشي</u>
17	<u>المبحث الأول: مولد الطرطوشي و نسبه</u>
21	<u>المبحث الثاني: مصادر تعلم الطرطوشي و مشايخ</u>
28	<u>المبحث الثالث: تلامذة الطرطوشي</u>
33	<u>المبحث الرابع: وفاة الشيخ الطرطوشي و أهم آثاره</u>
39	<u>الفصل الثاني: الدور العلمي لأبي بكر الطرطوشي</u>
40	<u>المبحث الأول: الرحلات العلمية لأبي بكر الطرطوشي</u>
45	<u>المبحث الثاني: الدور العلمي لأبي بكر الطرطوشي</u>
55	<u>المبحث الثالث: تأثير الإمام الطرطوشي في حياة المصريين</u>
63	<u>المبحث الرابع: علاقة الإمام الطرطوشي برجال السلطة</u>
68	<u>المبحث الخامس: ملحق تطبيقي (دراسة كتاب "سراج الملوك")</u>
76	خاتمة
80	قائمة ببليوغرافيا البحث
85	الفهرست

عبد اللطيف ربح الله	الاسم و اللقب
أبو بكر الطرطوشي ودوره العلمي في البلاد المصرية	عنوان الرسالة
لعرج جبران	اسم و لقب المشرف
06969826084	رقم الهاتف
lotfiabdo771@yahoo.com	البريد الالكتروني